قطر الندى

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٩/٧/٣٢٦٥)

٨١٩
اشتيوي، أنس
قطر الندى/أنس نعيم اشتيوي._ عمان: دار المأمون، ٢٠٠٩.
(١٤٠) ص
ر.أ: (٣٢٦٥/٧/ ٢٠٠٩).
الواصفات: /النثر العربي//الخواطر/

❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E- mail: daralmamoun@maktoob.com

قطر الندى

أنس نعيم إشتيوي



بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

إهداء

إلى العظماء في حياتي، أبي وأمي وإخوتي،

إلى الصفاء والنقاء وأحب أطفال الأرض إلى قلبي، قصي ورزان وروعة،

إلى كل من أنار لي الطريق وأشعل لي شموع الأمل،

أهدي سحر الكلمات، وعطر التأملات،

أهدي قطر الندى،

شكر

شكر خاص وخالص للأخ الكبير المهندس رائد خطاب على نصحه ودعمه.
والأستاذ عاطف أبو سريس، والصديق نضال ثلجي على التدقيق والمراجعة.
إذا كان جهدهم ودعمهم كمشكاة فيها مصباح.

مقدمة

بعد حمد الله على فضله ونِعَمِهِ والتسليم على خير من تكلم العربية النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم، ألتمس أن أتكلم عن كتابي هذا بأنه جملة متواضعة من الخواطر التي خرجت لترى النور في مسرح الحياة، وكنت قد سعيت في كتابتها للاختيار من الكلمات أسهلها وأبلغها ومن العبارات أبسطها وأوجزها في حدود استطاعتي، وجاءت جملة هذه الخواطر في نسقها هذا دون أن يحكمها ترتيب خاص مبنيٌ على تقارب الموضوعات أو تشابه الأفكار وإنما جاءت في سياقها هذا حسب تواردها في مخيلتي وقد أبقيت على ذلك لتجنيب نفسي والقارئ الملل والضجر من تتابع الأفكار المتقاربة في المعنى.

لماذا قطر الندى؟

لأن قطر الندى في الصباح يعني الصفاء والنقاء والطهارة، فتتسابق أجنحة الطير وأوراق الشجر وحبات الرمل وظاهر الصخر والحجر لتكون سكناً لقطر الندى،

ولأن قطر الندى هو ابتسامة ترتسم على الوجوه نتبادلها والآخرين إذ نتبادل تحية الصباح،

ولأن قطر الندى ضحكات تعلو شفاه الأطفال في استقبالهم صباح يومهم الجديد،

ولأن قطر الندى يترافق والفجر حيث الأمل وجديد العمل، إذ الفجر يأتي بعد كل ظلامٍ حاملاً لليائسين والمحزونين إشراقات أمل، وللمقصرين والمتخاذلين أوقاتاً جديدةً للعمل، وللمخطئين والمسيئين فرصاً ذهبيةً لتصحيح الخطأ وسؤال العفو والصفح، وللمذنبين والعاصين أبواباً مفتوحة لطلب التوبة والرحمة والمغفرة،

* * * *

ماذا ينقصني؟

يائس يصف حاله فيقول:

إن صنعت فأعطيت الأمر من الصنع حقه، وزرعت فاخترت للغرس من العام وقته، وراعيت في صناعتي إجراءات ولوائح وتحرَّيت في زراعتي الطيب من البذور والصالح من الأرض، ثمَّ وقفت في آخر خط الإنتاج في مصنعي وانتظرت طويلاً ولم أحظَ بمنتجي الذي أردت، وحضرت باكراً لحقلي يوم الحصاد فلم أجد الطيب من الثمر لأقطف، فأنكرت ذلك ورفضته ووجدت أنَّ القدر يحول بيني وبين مُرادي وأن أعدائي قد حاكوا المؤامرات، وضاقت علي الدنيا حينما حلمت بصديق فرح بمكروهي، فاستيقظت والألم يلفني وحزمت حقائبي والسفر يدعوني لمغادرة المكان والأهل والأقران، خليلي في ذلك اليأس وناصحي فشل الماضي، مشيت وأنا ألعن الظلام وأهدر في ذلك الساعات والأيام.

التوقيع: يائسٌ فقد الأمل

يا من فقد الأمل:

منـي ومن كل من جادت نفسه بالنصيحة ووجد أنَّ التذكرة هي لأولي العقول وأصحاب الأهداف العظيمة، تذكر أنَّ:

اليــأس كفــر فــلا ترضــخ لســطوته

وجنـــة الله خُصَّــت للأولـــى صــبروا

فلتكن اللبيب الذي يستخدم وقته في تأملات العقل التي تصنع من أغصان الأشجار ورفاتها أوراقاً تزينها السطور والتي ترتسم عليها حروف الكلام لتجعل من الظلام نبراساً ومن الليل الحالك سواده سبباً للتغيير فتلهمنا السبيل الصحيح إذ يستيقظ الأمل، ويغادر من النفس الفتور فتعلو الهمة وترتفع العزيمة لصنعٍ جديد وزرع حسن، حيث نجاحنا فيه خطوة جديدة و فشلنا فيه تجربة مفيدة.

قال محمد إقبال:

قلـت للصـقر و هـوفي الجـو عـــــال

اهـــبط الأرض فالـــــــهواء جـــديب

قال لي الصقر في جناحي و عزمي

و عنـــان الســماء مرعـــى خصـــيب

وحتى نُحَصِّلَ النجاح في الحياة وعلى كل الصعد وجب أن نمتلك الرغبة فيه وفي التميز والإبداع بما نريد القيام به ما يستوجب فينا امتلاك القدرات اللازمة لإنجاز ما يراد إنجازه ممثلة بالمعارف والمهارات والسلوك، معطوفاً على كل ذلك السعي للفرصة المناسبة والمتوافقة وما نمتلكه من مؤهلات، فصدق رسول الله صلوات الله ورحمته عليه ""القصدَ، القصدَ تبلغ"""" (صحيح البخاري)

"كثير من إخفاقات الحياة هي لأناسٍ لم يدركوا كم كانوا قريبين من بلوغ النجاح"

توماس أديسون

*** * * ***

من المصيب ومن المخطئ

لك أيها الأب، لكِ أيتها الأم،

إن كنتما مُقَصِّرين....

لن ألوم ابناً ابتعد عنكما في الطاعة أو ابنةً وجدت في عصيانها لكما هدفاً وغاية، في عالم يحفل في كل لحظة باختراع جديد أو اكتشاف مهيب، ولست في كلامي هذا محرِّضاً لعدم البِّر ولا متحرراً من شرع أو دين وإنما أدق ناقوس الخطر وأعلن حالة الطوارئ - أعلنها في غير اتجاه- إذ ضاع الآباء والأمهات عن أبنائهم قبل ضياع أبنائهم عنهم " فالعجب كل العجب من عرب هذا الزمان إذ ينكرون ويرفضون ويشجبون عقوق الأبناء لآبائهم وأمهاتهم، وقد نسوا أن هؤلاء الأبناء عندما كانوا أطفالاً لم يرضعوا من حليب أمهاتهم ولم يذوقوا حتى طعم اللبأ وإنما رضعوا حليباً مستورداً مجففاً وكامل الدسم"، فليست بيوتنا فنادق للنوم أو مطاعم للأكل، هي ليست ساحات للَّعب وليست عيادات نفسية نتلف فيها هموم أعمالنا وضغوطنا النفسية، هي كل ذلك مسبوقاً بكونها ميادين لصناعة الرجال منذ طفولتهم ومدارس لتربية الأمهات منذ نعومة أظفارهنَّ.

وقد روى الأستاذ محمد الصباغ فقال: ((سمعت من الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله أن رجلاً جاء يسترشد لتربية ابن له أو بنت وُلِدت حديثاً فسأله كم عمرها ؟ فقال الرجل: شهر ، قال: فاتك القطار، وقال: كنت أظن في بادئ الأمر أني مبالغ ثم عندما نظرت وجدت أن ما قاله الحق وذلك أن الولد يبكي فتعطيه أمه الثدي فينطبع في نفسه أن الصراخ هو الوسيلة إلى الوصول إلى ما يريد ويكبر على هذا)).

فلنؤدِّ حقوق الأبناء كما نطالبهم بأداء واجباتهم تجاه آبائهم، فقد سبَّ أعرابي ولده وأخذ يذكره بحقه عليه ،فقال له الولد:يا أبتاه إن عظيم حقك علي ،لايبطل صغير حقي عليك.

* * * *

طفولتهم مدرسة

تداعبه بابتسامتها وتراقص ضحكاتها تضاريس وجهه فتنفك عن جبينه عقدة أولى،

تعلِّمه الرقص وبانسجام فهي تجيد الإيقاع في نبرات صوتها فتنفك عقدة أخرى،

يتلاشى الإيقاع الهادئ حين تصرخ مستعجلة إياه فيعجز عن إرضائها، فهي قاضية في محكمة قوانينها شرعية ودستورها ملزم من غير أن يكتب في كتب من ورق حيث بكاؤها عقاب وفي صمتها تأنيب وحزنه يأتي من هربها فإن لم تجد إلى ذلك سبيلا وخلَّته عنها كان الاحتضان حقاً لها وواجباً عليه وفرحاً لكليهما، فإن فعلت ذلك وأسرعت في سعيها لاحتضانه عجزت يداها عن اللقاء خلف عنقه فحضنها الصغير لا يتسع لألعابها وأبيها معاً، فأبطال قصتنا طفلة وأب - هو تلميذ لمعلمة- وإن لم تُجد أبجديات الكلم إلا أنها بلعبها وإيماءاتها أفهمته الدرس فقد شرحته وهي تنظر في عينيه بابتسامتها معلنة رغبتها بالعناق وحينما شعرت بعدم فهمه عاقبته بصراخها فزاد فهمه وتوجه سلوكه فعانقها أب دافئ أشعرها بالحنان، فكان بذلك مثال التلميذ المجتهد الذي يدرك أنه يعطي ويأخذ يعلم ويتعلم .

كل هذا حدث في هذه المعمورة في حياة فيها الأخذ والرد كأدوات للتوازن، فيها اليوم والغد كأدوات للتغيير الموجه والتطوير، فيه التعامل مع الآخرين مرآة تعكس عالماً يقطن في أعماق ذاتنا لنتمكنَّ من العيش بإنسانيتنا واحترام ذواتنا والآخرين.

جاء في كتاب الطريق الصحيح لتشخيص وعلاج العقم للدكتور نجيب ليوس في نقلٍ عن العالم النفساني مورتن برنس في كتاب اللاشعور: ان الشخصية هي مجموعة الاستعدادات والنزعات والميول والغرائز والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة والمكتسبة، ومُحصِّلتها هي التي تتحكم في التنشئة الاجتماعية، فعلينا إذاً أن نلجأ الى العقل السليم للاستفادة من خبراته المخزونة ليكون في مقدورنا اختيار الأسلوب الأنسب والأفضل في تنشئة الطفل بعد أن نتأكد من مستوى نضوج المربي وجودة صفاته الإنسانية.

وإلى جزءٍ آخر من هذا الكتاب يقول الكاتب: (تبدأ الخلايا الدماغية التي تجعل الإنسان قادراً على القيام بالعمليات العقلية بالتطور منذ تكوين الجنين. فتشير الدراسات إلى أن معدل نمو الخلايا الدماغية تكون في أوجها خلال فترة الثمانية عشر أسبوعاً من الحمل حتى السنتين الأوليين بعد الولادة، وتكون سرعتها في المرحلة الثانية (من سنتين إلى أربع سنوات) سريعة ولكن أقل سرعة من المرحلة الأولى وبعد ثماني سنوات من عمره تكاد هذه الخلايا تنمو . وقد تبين أن الكمال العقلي للطفل يتمثل بشعوره بالاستقرار، وفضوله القوي، وقدرته على المشاهدة الدقيقة والاستنتاج بدلاً من المعلومات المحشوة.

ومن هنا يتأكد دور الأهل في مساعدة طفلهم خلال مرحلة النمو السريع للخلايا الدماغية، فعلى الأهل إشعار الطفل بحبهم واهتمامهم اللذين لا ينتهيان، وكذلك الاهتمام بحركاته وإشاراته .وأهم من هذا كله، عليهم إعطاؤه ما يلزم من المواد الغذائية اللازمة لصنع الخلايا الدماغية في هذه الفترة.

قال الشاعر عمر بهاء الدين الأميري عندما وصف بيته بعد مغادرة أولاده له وبقائه وحيداً:

أين الضجيج العذب والشغبُ	أيـن التـدارس شابـــه اللعبُ؟
أيــن الطفولــة فــي توقدهـــا	أيـــن الـــدمى فـــي الأرض والكتـــــبُ؟
أيـن التبــاكي والتضـاحك فـي	وقت معـاً، والحزن والطربُ؟
يتزاحمــون علــى مجالستـــي	والقـرب منـي حيـثما انقلبـوا
فنشــيدهم: (بابـا) إذا فرحـــوا	ووعيدهم: (بابا) إذا غضبوا
وهتــافهم: (بابـا) إذا ابــتعدوا	ونَجيّهم: (بابا) إذا اقتربــوا
ألفيتـــُني كالطفـــل عاطفـــة	فـإذا بـــه كـــالغيث ينســكبُ

* * * *

بين الأمس واليوم والغد

هكذا فهمته،

أمس عرفت عنه الهدوء، ألفت منه الصمت، مللت فيه البرود واستهجنت الغموض، كنت إذا سألته أعرض ولم يجب فأجيب عن سؤالي كمن يخاطب نفسه، وإذا حاورته وحادثته جالت عيناه في كل مكان إلّا عن المكان الذي أجلس فيه، أغضبته فما غضب، أيقنت في نفسي بأنَّ صمته خوف، وهدوءه ضعف، وبرودته نقص في إنسانيته، وغموضه تكبر، حياته ليس لها قيمة أو حتى معنى، أنكرت عليه ذلك ولكن في نهاية الأمس قلت مالي وله، فدعِ الخلق للخالق.

أمَّا عن صباح هذا اليوم فهو صباح غريبٍ على غير ما تعودت، فعلى غير عادته يلملم حاجياته، يجمع أغراضه ويرتب مقتنياته، وعلى غير عادته كاد يغادر بسرعة لولا أن استوقفته كلماتي" عفواً! إلى أين؟" فنظر إلي نظرة الراحل وتبسَّم ابتسام الواثق كمن يستعد لأمر جلل، فأضمرت في نفسي ضحكة استغراب! كاد وجهي يفضحها فأنا أعرفه ضعيفاً خائفاً تنقصه الأحاسيس والمشاعر، وأراهن على عجزه، وما ستؤول إليه حاله هذا المسكين.

ولكن!!!

فضولي الدائم دفعني لغرفته فرأيت دفتراً لمذكراته وطموحاته على طاولة، فتخيل إلي أنه قد نسيه، فلعلَّه يفضح أسراره ويكشف غموضه، قلبت الصفحات لأصل إلى أولها لأجد إهداءً موجهاً إلي:

"صديقي، رفيقي،......، اقبل مني الوصف الذي تشاء، شكراً لك لمؤانستي

وحدتي وتحمّل غرابتي، أعترف بذلك وأريد أن أردَّ الجميل فاعلم............

وبدأت أقرأ

أما وقد أصبح سِرُّه بين يدي فسأحاكي صمته وأقرأ غموضه وأكسب ودَّ بروده، في صفحاته الأولى وبعد الإهداء وجدت عالماً كان قد بناه في عقله وأمدَّه بالأمل من قلبه، هو بطل في عالمه هذا، لا ينازعه البطولة أحد وإنما تشاركه رفيقة درب حيث في ذلك سكينة وطمأنينة، في عالمه هذا قصر جميل كان قد اختار هو موقعه وحجارة بنائه، واختارت هي زينته وزخارفه، وتشاركا معاً حياكة وصناعة أرائكه ومجالسه حيث سيكون للسمر حكايات وللحديث صولات وجولات، وتفترش حدائق هذا القصر بأقحوان السعادة، وبزعفران النبل، وبزهور الروز كرمز للوفاء،عالمه جميل، هو ليس خالياً من المشكلات أو التحديات، هو مليءٌ بالروح والأمل مليءٌ بالإصرار والإرادة.

واستمرت القراءة

في صفحات أخرى حيث كان العنوان فيها بأن الأسر حرية، تعلمت منه أن في الأسر خلوة وفي الخلوة انطلاق للعقل وفي هذا الانطلاق حرية للنفس، فهمت أنَّ في العتمة نوراً واحداً فقط يعيننا نستدل به على الطريق كبحارة يستدلّون بمنارة مأربهم في بحر علت أمواجه وحلكت ظلمات ليله، وليس كمن يستدلِ على ماءٍ في صحراء سطعت شمسها وزاد ضوءها فخدعه سرابٌ مكتنزٌ بكل ما لذَّ وطاب، فما عاد على الدرب القويم يسير وعن الهدف المرغوب أصبح يضل الطريق.

فهكذا أفهمني نفسه على غير ما فهمت فهو كما قال إبراهيم طوقان:

صــــــامت لــــــو تكلمــــــا لفـــــظ النــــــار والــــــدما

قـــل لمـــن عـــاب صـــمته خُلـــق الحـــزم أبكمـــا

وأخـــو الحـــزم لـــم تـــزل يـــــده تســــبق الفمـــا

لذلك

لم يعد لي الحق في أن أنكر عليه صمته المتكلم، وهدوءه الحكيم، وبرودته التي تخفي دفئاً في صدق أحاسيسه، ولا أن أرفضَ غموضه، غموضه الذي حرَّك فضولاً عاقلاً لا يسعَ بأن يمنع الطيور من أن تحلِّق فوق رؤوسنا وإنما يسعى لأن يمنع الطيور من أن تبني أعشاشاً داخل عقولنا.

أما أنا

والذي كنت ممن كثر كلامه وقلَّ فعله وكنت مزهواً بنفسي ومشغولاً بنقد الآخرين، فقد عقدت العزم بأن يكون للغد معنىً جديد،

فغداً

بالنسبة لي شمسه مختلفة حيث عصافيره تعزف معزوفة على غير عادتها في عالمي الجديد، حيث فيه البداية لما له قيمة ومعنى.

"من أجل النجاح الفعلي اسأل نفسك التالي: لماذا؟ لِمَ لا؟ لِمَ لا أكون أنا؟ لِمَ ليس الآن؟"

اللهم إنَّ إبليس عبد من عبيدك، ناصيته بيدك، يراني من حيث لا أراه، وأنت تراه من حيث لا يراك، اللهم إنك تقدر على أمره كلِّه، وهو لا يقدر من أمرك على شيء".

* * * *

بين الوهم والحقيقة

لكل أولئك الذين وجدوا في الصحبة والرفقة الملل والضجر وفي الأخوة ضياع الوقت ووجدوا في أنفسهم قدرة على العيش وحدهم وإن توفرت لذلك سبل العيش المادية:

ليس للإنسان- إن اكتملت إنسانيته- أن يكون له شمسه الخالصة دون أن يكون لأحد حقٌ في أن يشاركه إياها، وإن سعى لشمسه التي لا تشرق على أحد سواه فقد عاش في جنة حفت بالوهم وتراكضت على جنبات حدائقها أطياف السعادة تنشد في حزن على غير إيقاع ، فالحياة لمن أراد أن يعيش حقيقتها أولها عمل حلوه مر وآخرها سعادة حصادها جميل، ولمن أراد ان يعيش وهمها ما هي إلَّا نشوة آنية.

"اللهم لا تقطع رجائي وبلغني الأماني واكفني الأعادي وأصلح لي شأني واكفني أمر الدنيا والآخرة وارزقني قلباً تواباً لا كافراً ولا مرتاباً واغفر لي واهدني وارزقني وأنت خير الرازقين برحمتك يا أرحم الراحمين"

* * * *

أيها الحاسد احذر

لكل من راودته نفسه بالنظر لما في يد غيره ونازعته أنانيته للحسد والنقمة على نجاح الآخرين:

ليس لنا أن نسمح لعيون الآخرين أن تسلب من أحلامنا قدسيتها مهما ضاقت عنها، ولا أن ترتفع أصواتهم لتحول دون سماع دعاء أمهاتنا لنا وإن كان في ظهر الغيب، ولا أن تمتدَّ أيديهم لمصافحتنا قبل أن نعدَّ أصابعنا التي بها غرسنا بذور هذه الأحلام وبها عددنا سنيَّ عمرها لتصبح إلى الحقيقة أقرب منها إلى الوهم.

"اللهم إني أستغفرك مما تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك لما جعلته لك علي نفسي فلم أوف به وأستغفرك مما زعمت أَني أردت به وجهك فخالط قلبي ما قد علمت".

* * * *

بعض مستلزمات النجاح

إلى أصحاب القلوب الكبيرة والمشاعر الصادقة، إلى كل من حركتهم نواياهم الطيبة ووجههم حبهم للآخرين:

ليس بمحبة قلوب الآخرين لنا وحدها نكون قادرين على العمل ولا أن نحصد حصادنا أو نقطف ثمارنا، وليس لنا أن نقبل في أن تكون تلك القلوب المحبة والتي تشع بالخير وحدها حارسة أحلامنا -فلا طاقة لها بذلك وإن عزمت- فالحراسة تحتاج لعبقرية العقل وقوة الساعد اللذين يجمعهما ما وقر في القلب من محبة، فهي كما الإيمان قلب وعقل وجوارح.

"النجاح مثل السلَّم الخشبي، لن تجد أبداً أحداً يصعد درجات السلَّم ويديه في جيوبه" زيج زيجلر

"اللهم وفر حظي من خير تنزله أو إحسان تفضله او بر تنشره أو رزق تبسطه أو ذنب تغفره أو خطأ تستره، يا من بيده ناصيتي ياعليم بضري ومسكنتي ياخبير بفقري وفاقتي يارب..أسألك بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتي بالليل والنهار معمورةً بذكرك وموصولةً بخدمتك وأعمالي عندك مقبولة".

* * * *

كيف يضيءُ الماضي مستقبلنا

لمن جعلوا كتب التاريخ علي رفوف مكتباتهم يعلوها الغبار، ولمن سجلت اعترافاتهم نسياناً للماضي واستهلالاً بالمستقبل:

ليس لنا أن ندع الأمس في كل أمره، فالأمس ماضٍ، ونحن بلا ماضٍ نفقد تاريخنا فتعجز أحلامنا وإن كانت نبيلة أن تصبح حقيقة تجلس تحت شمس الغد، فليست زهور اليوم إلا بذوراً زرعت في الأمس بيد مباركة في أرض طيبة ورويت في مسائه بماء عذب. حيث في غدها تخرج عن هذه الزهور روائح غناء ترق لها النفوس وتتحرك لها العيون فإما أن تقدم إكليلاً لمباركة عرس، أو باقة تحمل الدعاء لسلامة مريض، أو أن تنفلق هذه الزهور ليخرج عنها ثمر حلوٌ مذاقه طيبٌ طعمه فيكون فيه الغذاء والدواء لأهل الأرض.

"اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شئ من أمري وأنا البائس الفقير والمستغيث المستجير أسالك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير......دعاء من خضعت لك رقبته وذل لك جسمه ورغم لك انفه".

* * * *

لماذا نحن معنيون بالفهم!

رحلتي إلى النجاح طويلة، محطاتها كثيرة، تحتاج مني الدراسة والدراية حيث أنَّ واحدنا يؤمن بأن شمس غدٍ الذي يريد أن يحياه يسبقها قمر لا بد أن يسامره ويحادثه، يفهم منه فيما إذا كانت صديقته التي ستخلفه في الصباح سيرافقها لوز آذار أم ستسبقها خماسينية أيار أم أنها ستغيب خلف غيوم تمطرنا بسرِّ البقاء غياب الأطفال عن مدارسهم فصل الشتاء وهم في أحضان أمهاتهم يلعبون، ليختار بذلك بعد علم إمَّا السير صباحاً تحت إشراقة شمسٍ دافئة أو اصطحاب مظلته حال خروجه، أو أن يدقَّ أوتاد خيمته عميقاً في رحم الأرض فتسكن خيمته سكينة المطمئن لا يعتريها شيءٌ من دمدمة الريح العاتية إلا وقتاً مستقطعاً لإعداد فنجان قهوة وفهم خارطة الطريق. أو أن يسمح كقبطانٍ متمرِّسٍ لمرساة سفينته بالغوص عميقاً في جوف المحيط – متحدية هدير الموج- وإسدال الأشرعة وإحكام القبضة بدفة القيادة وذلك إذا ما علت الأمواج وسمع هزيم الرعد في الأفق واشتدت العاصفة.

يقول الكتور عبد الرحمن العشماوي

خسر الجزوع وإن سعى سعيا	نحو المراد ، وفاز من صبرا

لـــم تســلك الـــدرب الصــحيح فهــل	ترجـــو النجـــاة وتطلـــب الظفـــرا ؟
إن الكـــريم إذا اســـاء بـــلا قصـــدٍ	واخـــــــــــطا تـــــاب واعتـــــــذرا

* * * *

عندما ينبعث من الموت حياة

ورد في تفسير سورة البروج عن أصحاب الأخدود أنَّ موت غلام أحيا أمَّة بعد أن ضحى بنفسه على أعين الملأ مؤمناً بالله وحاملاً لرسالة التوحيد، أحَيا فيها نبض العقيدة بعد أن توقفت القلوب عن النبض، وأحيا فيها ذكر الله بعد أن توقفت الألسن عن القول بالحق وتاهت الأجساد في غياهب الشرك والإلحاد ودفنت في ظلام العبودية، وأيقظها بعد أن كان سباتها طويلاً، فثارت نفوسهم على الكفر وانقلبت حياتهم من الاستسلام والخنوع لطاغية –لا يملك من أمره من شيء- إلى إسلام وخشوع لخالق الحَبِّ والنوى وكان ذلك سبباً في أن ترتقي النفوس لأعلى درجات الكرامة، فعلت كلمة الحق، وأضاءت مشاعل النور.

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ (سورة نوح).

* * * *

محاكمة، وقفص اتهام

ذلك شخصيته ضعيفة وهذا ثقته بنفسه مهزوزة، إبن عمي فاشل في عمله، وأخي لا يصلح لأن يكون لبيته راعياً، مسؤولي في عملي محابٍ لغيري وسياسيو بلدي ليس لديهم حنكة في السياسية، وصديقي ليس له في منصبه شأن غير شأن شخص ادعى الطبابة بعد أن زار طبيباً لوعكة صحية أصابته، أما رفيقي فليس له في كرسيه إلّا نقشٌ قديم لاسم أحد أفراد عائلته ليس أكثر- فتوارثه الخلف عن السلف- ،وكثير من أفراد شعبي وأبناء بلدي لا يملكون أهلية لما يشغلونه من أعمال، أما أنا فقد عاركتني الحياة وعاركتها فكان لي من الخبرة والعلم ما يكفيني لأزن الأمور وأصدر الأحكام.

(التوقيع: إنسان لا يرى إلَّا نفسه، ولا يسمع إلَّا صوته)

تعليق:

تصدر ألسنتنا الكثير من الأحكام في اليوم الواحد ما دامت قادرة على الكلام، وقد ننصِّب أنفسنا قضاة فنصدر الأحكام ونشرع القوانين ونفرض العقوبات، ونعلن بأنَّنا الجلادون فنمسك السوط وننفذُ الحكم.

فلنستيقظ ولنعلم أنَّنا لسنا قضاة لنحكم على من حولنا أو حتى أن نحكم على مجهوداتهم، يكفينا أن نداعب وسائد نومنا ونحن لا نكنُّ في أعماقنا إلا ما هو طيب ونبيل من الخلق والذوق الرفيع والتسامح تجاه الآخرين، ليكون نومنا هادئاً هانئاً، وإن راودتنا أنفسنا أن نشتغل بهذا الأمر فلنضعها في قفص الاتهام ونحاكمها مع من نحاكم علَّنا يوماً نصل إلى العدالة التي نرجوها وندَّعي أننا من جنودها.

"ولنعلم أنَّه قبل أن نبدأ بنزع شجرة الشرِّ في الآخرين؛ علينا أن نبحث عن بذرة الخير فيهم ونسقيها"

* * * *

منطق

كلنا قد درس المنطق في كتب الرياضيات بلغة الأرقام، وفي كتب العلوم بلغة الحقائق العلمية، وفي حصة الرياضة أدركنا منطق الفوز في مبارياتنا عندما لعب فريقنا كيد واحدة، حيث فهم كلّ منا دوره -ما له وما عليه- فكان في وحدتنا قوة وفي فرقتنا ضعف، وعندما أصبح لعقولنا قدرة على الفهم الأوسع والقائم على امتلاكها أسساً ومبادئ ونظريات ومسلمات كنا قد تعلمناها في سنين سابقةٍ من الدراسة، درس بعض منَّا أسس المنطق في الفلسفة وحيث أنَّ المنطق هو قانون التفكير الصحيح وأنه أيضاً علم يبحث عن القواعد العامة للتفكير الصحيح، انطلقنا لنجوب ساحات الفكر وما يقوم عليه من قواعد للسبب والشرط

وكان أن طرح معلم المادة سؤالاً حول قاعدة في هذا العلم ليتأكد من مدى استيعابنا وفهمنا للدرس وكان السؤال: افترض أن لصاً سلب بيتك بالقوة، والقوة ليس لها إلا القوة، فكيف يعود البيت؟ الحل

* أنَّ لصاً كان قد سلب بيتي بالقوة

* ما سرق بالقوة لا يعود إلّا بالقوة

* إذاً فبيتي لا يعود إلّا بالقوة.

يا سميعَ الدُّعــاء كُنْ عند ظَنّي.....وأكفِنــي مَنْ كفيته الشّر منِّـــــي وأعِنّي على رضــاكَ، وخِر لي........ في أموري وعافِني، واعْفُ عنِّـــي

* * * *

منظومة للنجاح

للنجاح في حياتنا يتوجب علينا أن نعتمد منظومة من القواعد المتناغمة فيما بينها كتناغم معادلة رياضية، يمكن أن نتفحصها حال حدوث مشكلة لبيان السبب الذي حال بيننا وبين النجاح وتقديم العلاج الشافي، فيستمر المسير في الاتجاه المرغوب وبالسرعة المطلوبة.

ترتسم منظومة النجاح في أولى خطواتها بنقش في صميم العقل، لما له قيمة من أهداف حياتنا الرئيسة في مختلف مجالاتها (الاجتماعية، الاقتصادية، العلمية، المهنية،........) حيث تمتاز هذه الأهداف الشمولية بمجموعة من الخصائص والصفات أجملها أهل العلم فيما يلي:

وجوب أن تكون محددة: كنورٍ مضاءٍ في آخر النفق ليس من شيءٍ سواه، ما يستوجب منا التركيز في العمل وهوً أساس مهم للنجاح.

وجوب أن تكون قابلة للقياس: لنمتلك أداة لقياس مدى قربنا منها، فيكون بمقدورنا مراجعة الخطط والبرامج الخاصة بالعمل على تحقيقها.

أنها قابلة للتحقيق: في ظلِّ ما نمتلكه من استعدادات.

أنها واقعية: في ظل عالم يؤمن بالحقائق العلمية.

مرتبطة بالعامل الزمني: ما يمكننا من تحديد حجم انجازاتنا ومدى توافقها مع الاستعدادات في إطار زمني محدد.

ويتمخض عن هذه الأهداف الرئيسة ولادة مجموعة مترابطة ومتسلسلة من الأهدافٍ الإجرائية تمثل في ذاتها خطواتٍ مرحلية تحول دون الارتجال اللاواعي

وتصبُّ في نهاية المطاف في بحر أهدافنا الشمولية.

قال أبو العلاء المعري:

الأمــرُ أيســرُ ممــا أنــتَ مُضــمرُهُ؛	فــاطرَحْ أذاكَ، ويسّــرْ كــلّ مــا صَــعُبا
ولا يسُــرّكَ، إن بُلّغْتَــهُ، أمَــلٌ؛	ولا يهمّـــك غربيـــبٌ، إذا نعبـــا
إنْ جـدّ عالمُـكَ الأرضـيُّ، فـي نبـأٍ	يغشـــاهُمُ، فتصـــوّرْ جِـــدّهُمْ لَعِبـــا

* * * *

معرفة الدرب ليست كافية للسير فيه

أنَّ ثقتنا بأنفسنا وإيماننا الصادق بأهدافنا يعزز داخلنا رغبة في تحقيق هذه الأهداف، ولكن ذلك ليس كافياً وحده ما لم نتسلَّح بالاستعدادات الخاصة للعمل على إنجاز واجباتنا التي تفترضها هذه الأهداف ممثلة هذه الاستعدادات:

* بمجموعة المعارف النظرية العامة التي تشكل شخصيتنا،

* ومجموعة المعارف النظرية الخاصة التي تمثل القاعدة العلمية الأساس في أداء أعمالنا ومهننا باحتراف،

* والمهارات الفنية التي تمثل القاعدة العملية الأساس في أداء أعمالنا ومهننا باحتراف

* والمهارات الإنسانية والتي تضمن لنا روابط اجتماعية في ظل العمل الجماعي الذي أصبح ضرورة حياة،

* والمهارات الإدارية التي نضمن بها النجاح بعد مشيئة الله وتكشف لنا نقاط الخلل،

* والسلوكيات الإيجابية التي تعزز لدينا قابلية عالية على الإصرار في المحاولة مهما اشتدت الصعوبات.

قال أبو العلاء المعري

مضـت علـى نهجها المرسـوم فـي ثقـة		وأعربـت عـن سـداد الـرأي إعرابـا

لو أنها شغلت بالليل تشتمه	لما رأت في نجوم الليل أحبابا
كذلك الناسُ لو لم يفقدوا أملاً	واستمنحي رازقاً للخلق وهابا
فعندها سترين الأفق مبتسماً	والشمس ضاحكة والفجر وثابا

* * * *

المبالغة في العمل

ليس الهدف الملموس من العمل إلَّا الإنجاز وأداء الواجبات، وذلك ما يفرض علينا إعطاءه من الوقت والإتقان حقه، وحيث أنَّ الإتقان لا يتحقق إلَّا واكتمال الرغبة وامتلاك القدرة على العمل، وحيث أنَّ الرغبة لا تجتمع في النفس إلَّا والقلب مملوءٌ بالهدوء والسكينة، والقدرة لا تتحصَّل في الجسد إلَّا وهو مطمئنٌ تتناغم فيه نبضات القلب وفكر العقل وإيقاعات الجسد، وحيث أن هذا التناغم لا يتمُّ إلَّا بإراحة الجسد وإعطاء العقل ما يُشبع حاجته من النوم، لينفجر عن ذلك أسطورة المثابرة الواعية من غير مبالغةٍ في العمل ولا هدر للوقت ولا ضياع للصحة، وهذا ما يوجب علينا بطبيعة الحال أن نعطي أجسادنا وعقولنا حقها في الرَّاحة كما نطالبها في واجبها في العمل والأداء.

"صَوِّب نحو القمر، فحتى إذا أخطأت فأنت ستصيب الغيوم"

كلمنت ستون ﴿كاتب أمريكي﴾

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي.

* * * *

جدوى إقتصادية

جاء في مثل صيني قديم أنه "إذا أردت مشروعاً تحصده بعد عام فازرع قمحاً، وإن أردت مشروعاً تحصده بعد عشرة أعوام فاغرس شجراً، وإن أردت مشروعاً تحصده بعد مئة عام فعلِّم شعباً".

علِّم شعباً أنَّ إحقاق الحقِّ خير سبيل لرؤية النور.

علِّم شعباً أنَّ الحقَّ لا بدَّ أن يعلو صوته، ولكنه بحاجة إلى رجال حتى وإن كان

للبيت ربٌّ يحميه.

علِّم شعباً أنَّ للحقِّ وجهاً واحداً فقط وهو مشرق دائماً.

علِّم شعباً أنَّ الحقَّ والتعصُّب أمران ليس من الخير أن يجتمعا للإقناع بوجهة نظر.

علِّم شعباً أنَّ الحقَّ والحكمة والموعظة الحسنة أساس النصح والدعوة والتوجيه والإرشاد.

علِّم شعباً أنَّ الحقَّ في السياسة هو نفسه في الحرب، إلَّا أنَّ أساليب عرضه والدفاع عنه مختلفة.

علِّم شعباً في الحبِّ إذا أحب، كيف يحب؟

علِّم شعباً أنَّ أصدق الحب هو الحب في الله ولله.

علِّم شعباً أنَّ الحب هو العنوان الآخر للتضحية، لذا علينا أن نتخير من نضحي لأجله.

علِّم شعباً أنَّ في الحب صفاءً للنفس، وبعداً عن الفجور.

علِّم شعباً أنَّ في الحب عواطف صادقةٌ، غالية ودافئة.

علِّم شعباً أنَّ في الحب مشاعر ليست رخيصة لتقدم لمن نلقاه في وسيلة مواصلات،

علِّم شعباً أنَّ من معايير ازدياد حبنا، تضاعف خوفنا من الإساءة لمن نحب.

تقول نوال السباعي في كتاب خواطر في زمن المحنة

"سألتهم: لماذا أنتم متعصبون؟ فقالوا لأننا على حق، فسألت الحق لماذا أنت بريء منهم فقال: لأنهم متعصبون "

لشباب هذا الزمان

يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (سورة طه)

وكلنا وبلا استثناء نعلم أنه:

إذا ما نادى الهوى والعقل يوماً	فصـــوت العقـــل أولـــى أن يجابـــا

ولكننا في بعض لحظات حياتنا عندما تتكالب علينا الدنيا بكل زينتها وتنازعنا أنفسنا طمعاً في هذه الزينة ينتابنا شيء من الضعف ويشوب همَّتنا الفتور فتضعف إيمانياتنا حيث يكون للشيطان سطوة، وللنفس فيها غلبة، وذلك ما يستوجب منا التعامل مع الأمر بمنطق الحكيم الذيٍ بسلوكه يسير على قول رسول العالمين ﷺ "إن لنفسك عليك حقًّا ولربك عليك حقًّا وإن لأهلك عليك حقًّا"" (صحيح البخاري) فيشغل نفسه بالحق حتى لا تشغله نفسه بالباطل ورحم الله الإمام حسن البنا إذ وصف الحال فأبدع وكان أن قال (ألجموا نزوات النفس بنظرات العقول وأنيروا العقول بلهيب العواطف).

يقول أحمد شوقي

وعصـــابةٍ بـــالخيرِ ألَـــف شـــملهم	والخيـــرُ أفضـــلُ عصـــبةً ورفاقـــا
جعلـــوا التّعـــاونَ والبنايـــةَ هَمَّهـــم	واستنهضـــوا الآدابَ والأخلاقـــا
ولقـــد يُـــداوُون الجِـــراح بِبـــرِّهم	ويقـــاتلون البـــؤسَ والإملاقـــا
يسمونَ بالأدب الجديدِ ، وتارةً	يَبْنُـــون لـــلأدبِ القـــديم رِواقـــا
البلبـــلُ الغـــردُ الـــذي هـــزّ الرُّبـــى	وشـــجى الغصـــونَ ، وحـــرَّكَ الأوراقـــا

"اللهم إنا نسألك زيادة في الدين، وبركة في العمر، وصحة في الجسد، وسعة في الرزق، وتوبة قبل الموت، وشهادة عند الموت، ومغفرة بعد الموت، وعفواً عند الحساب، وأماناً من العذاب، ونصيباً من الجنة، وارزقنا النظر إلى وجهك الكريم".

لفتيات هذا الزمان

لكل فتيات هذا الزمان الحق في أن يتأملن جمالهنَّ ويفكرن فيه، ذلك أنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ (سورة التين).

وفيما جاء على لسان العرب أنهم قالوا:

إن المرأة إذا كان بها مسحة من جمال فهي وضيئة جميلة،

فإن استغنت بجمالها عن الزينة فهي غانية،

وإن كان حسنها ثابتاً كانه قد رسم فهي وسيمة،

وإن كان النظر إليها يسرُّ الورع فهي رائعة،

وإن غلبت النساء بحسنها فهي باهرة،

والجمال هو نعمة من الله تعالى حبا بها خلقه، ووجب على خلقه شكره، وإنَّ لمن أفضل الشكر لله على هذه النعمة هي الالتزام بما أمر تجاه هذه النعمة وبذلك فإنَّ الفتاة العاقلة الواعية تكون كالوردة جميلة الشكل طيبة الرائحة، وما يزيد جمال شكلها وعبق ريحها طيباً امتلاكها أشواكاً هي عفتها تدافع بها عن نفسها من أذى الناس فالشوك قوة والقوة سمة من سمات الجمال، فترتقي بنفسها لتصل أعلى مراتب الجمال، فإن زانت الأخلاق أفعالها فهي لوحة وقد أُبدعت.

"أَللَّهُمَّ إنَّكَ خَلَقْتَني سَوِيّاً، وَرَبَّيْتَنِي صَغِيراً، وَرَزَقْتَنِي مَكْفِيّاً. أَللَّهُمَّ إنِّي وَجَدْتُ فِيمَا أَنْزَلْتَ مِنْ كِتَابِكَ، وَبَشَّرْتَ بِهِ عِبَادِكَ، أَنْ قُلْتَ: (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا ْ مِن رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً) فَارْحَمْنِي اللَّهُمَّ فَإنِّي امْرُؤٌ محتاج إليك، وَخَطَرِي يَسِيرٌ، وَلَيْسَ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مِثْقَالَ ذَرَّة، وَلَوْ أَنَّ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ لَسَأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذلِكَ لَكَ، وَلكِنْ سُلْطَانُكَ اللَّهُمَّ أَعْظَمُ، وَمُلْكُكَ أَدْوَمُ مِنْ أَنْ تَزِيدَ فِيْهِ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ، أَوْ تُنْقِصَ مِنْهُ مَعْصِيَةُ الْمُذْنِبِينَ. فَارْحَمْنِي يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَتَجاوَزْ عَنِّي يا ذَا الْجَلاَلِ وَالإكْرَامِ، وَتُبْ عَلَيَّ إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ".

قصر جميل

بيت متواضع، نتشارك فيه الحب والوفاء، الصفاء والانسجام، الضحك والابتسام، فيه الأخوة عنوان والأبوة للمركب قبطان، وفيه الذوق الرفيع أساس التعامل حيث الاحترام متبادل، والتفاهم هو الوصفة السحرية لحل الخلاف، والتناغم في الفكر والقول والعمل يفهمنا الآخر حق الفهم، فالحقوق متناغمة في ظلِّ الواجبات،

قالت الأعرابية ميسون البحدلية

لبيـــــت تخفـــــق الأريـــــاح فيـــــه	أحـــب إلــــي مـــــن قصــــر منيـــف
ولبس عباءة وتقرعينى	أحـــب إلـــي مـــن لـــبس الشـــفوف
وأكـــل كســـيرة فـــى كســـر بيتـــى	أحـــب إلـــي مــــن أكـــل الرغيـــف
وأصـــــوات الريـــــاح بكـــــل فـــج	أحـــب إلـــي مـــن نقـــر الـــدفوف
وكلـــــب ينـــــبح الطُـــــرَّاق دونـــــى	أحـــب إلـــي مـــن قـــط أليـــف

العلم وأهله

إنَ في الطب واختصاص أهله سبلاً لإنقاذ البشرية من المرض والألم،

وفي القانون وإيمان أهله به طرقاً للحد من الجريمة والظلم،

وفي الزراعة وعلم أهلها بها وسائل لوقاية البشرية من الجوع والعوز والحاجة،

وفي علوم الهندسة والتزام أهلها بقواعدها بناءً يُشَيَّد وصناعةً تخدم،

وفي العلوم الإنسانية وعمل أهلها بها فهماً لأعماق الإنسان ونهوضاً بإنسانيته،

وفي الفنون واحتراف أهلها ورقيِّ ذوقهم في أدائها فكرٌ يغذّي العقول وابتسامة تُرسم على الوجوه.

ولأنَّ في أي علمٍ نكتسبه أو حرفة نمارسها فائدة ومصلحة وجب علينا أن نتعلَّم فنفهم ونعمل فنتقن.

يقول الشاعر الحلاج

للعلــــم أهـــلٌ و للإيمــــان ترتيـــــــب

و للعلـــــــوم و أهلِيهـــــا تجاريـــــب

و العلــم علمــان منبــوذ و مكتســـب

و البحــر بحــران مركــوب و مرهــوب

فاسَمعْ بقلبـك مـا يأتيـك عـن ثقـــةٍ

و انظــرْ بفهمـــك فـــالتمييز موهــــوب

قيل لحكيم: أي الأشياء خير للمرء؟ قال: عقل يعيش به. قيل: فإن لم يكن. قال:فإخوان يسترون عليه. قيل: فإن لم يكن. قال: فمال يتحبب به إلى الناس. قيل: فإن لم يكن. قال: فأدب يتحلى به. قيل: فإن لم يكن. قال: فصمت يسلم به. قيل: فإن لم يكن. قال: فموت يريح منه العباد والبلاد.

* * * *

اقرع الجرس أو اطرق الباب واستأذن بالدخول

تعلَّم عددُ منا ألّا يطرق الأبواب المناسبة ليدخل البيوت على أهلها، وإن طرقها فقد فعل ذلك على غير الوجه الصحيح، وبعضنا الآخر يسعى لأن يدخل البيوت عنوة بدعوى أنه على حق وصاحب ملك، متناسين حرمة هذه البيوت وحرمة دخولها دون إذن أصحابها، هي كذلك القلوب! لكلٍّ منها حرمة، ولكلٍّ منها ذوق وأدب في الاستئذان من أصحابها لدخولها، فإن سُلِّمنا مفاتيحها ذلك إعلان من أصحابها أننا:

* في موضع الضيافة: نحن ضيوفٌ مرحبٌ بنا فلنسعَ لأن نكرم من أكرمنا بأن نحفظ حرمة مضيفنا، وحرمة المضيف وجوهها عديدة وأشكالها كثيرة منها احترام المشاعر، وحفظ الحقوق، وحسن الظنِّ، والتضحية، والإهداء، والدعاء، والمشاركة، والصفح.

* وفي موضع النصيحة: نحن مستشارون حيث المستشار مؤتمن، فالنؤدِّ الأمانة

في هذا الموضع في كامل حقها.

*** وفي موضع طلب العون: نحن أول من تستصرخه ألسنة أصحاب هذه القلوب، فلا بدَّ أن نلبي بأن نداوي الجراح قبل أن تلتهب فينتشر الخبث.**

وهذا استحقاق لمن أسكنونا قلوبهم واجب علينا أداؤه حق الأداء، ليس لنا أن نمنَّ عليهم به، ولا أن نعيب عليهم حاجتهم لنا

"ربنـا اجعل ألسنتنا عامرة بذكرك وقلوبنا بخشيتك وأسرارنا بطاعتك".

*** * * ***

سبب التمكين

خلق الله الخلق فأبدع، وقدر لخلقه تقاديره وتصاريفه، وجعل في هذا الخلق ما يتمايز بعضه من بعض، وفضَّل الإنسان إذ ميَّزه فصوَّره في أحسن صورة، ومكَّنه في هذا الكون من التمكين حقه إذ سير له باقي خلقه لتعينه في حمل أمانته التي عجزت الأرض والجبال عن حملها وأبين أن يحملنها.

سَيَّر الله الإنسان في بعض أمره وخيَّره في أهمِّه، فسيره في خِلقته وعمره ورزقه، وخيَّره في أي النجدين يسير- في طريق التوحيد والطاعات فيفوز في الدارين ويسلم ويأمن على نفسه، أم في طريق الشرك والمعاصي فيخسر بذلك الخسران المبين- وذلل له سبل الهداية، وسهل عليه أمور العبادة، ومن جملة ما ذلل له أن مكَّنه في الكون، ليعمِّر الأرض، ويعتبر من الخلق، فيعبد الله وحده دون أن يشرك به إن كان من الذين يعقلون.

جاء في كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي:

"المباحات من الشهوات مطلقة لك ولكن طريقها صعب، لأن المال قد يعجز عنها، والكسب قد لا يحصّل معظمها، والوقت الشريف يذهب بذلك، ثم شغل القلب بها وقت التحصيل، وفي حالة الحصول، وبحذر الفوات، ثم ينغصها من النقص ما لا يخفى على مميز.

إن كان مطعمًا فالشبع يحدث آفات، وإن كان شخصًا فللملل أو الفراق، أو سوء الخلق. ثم ألذ النكاح أكثره إيهانًا للبدن، إلى غير ذلك مما يطول شرحه.

وأما المحرمات، فتشتمل على ما أشرنا إليه من المباحات، وتزيد عليه خوف عقاب الدنيا وفضيحتها، ووعيد الآخرة، ثم الجزع كلما ذكرها التائب".

يا من يرى مد البعوض جناحها

في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى نياط عروقها في مخها

والمخ في تلك العظام النحل

اغفر لعبد تاب من زلاته

ما كان منه في الزمان الأول

* * * *

المرأة

حسنة الخلق، طيبة المنبت، لطيفة الكلام، حسنة المعشر، أنيقة المظهر، نقية النفس، صافية الروح، وادعة في الحديث، رقيقة ودودة، واثقة بنفسها مثقفة، ناصحة بالصائب من الرأي مدبرة، حريصة ومربية، جريئة في الحق ومهذبة، قنوعة وصابرة، هكذا هي المرأة في أبهى حلة وأرقى صورة، وهكذا نريدها أماً و زوجة وقريبة، أماً لتربي الأجيال وتصنع الرجال، وزوجة لتحفظ نفسها وزوجها وبيتها.

قال الأصمعي: أخبرنا شيخ من بني العنبر قال: كان يقال النساء ثلاث:

- هينة، لينة، عفيفة، مسلمة؛ تعين أهلها على العيش، ولا تعين العيش على أهلها.

- وأخرى: وعاء للولد.

- وأخرى: غُلٌّ قَمِلٌ يضعه الله في عنق من يشاء، ويفكه عمن يشاء.

* * * *

الرجل

في مشيته رزانة، وفي تواضعه وقار، في وجهه يرتسم الرضا من غير ذِلَّة، وفي حديثه مختصر مفيد، في وعده صدق، وفي عهده التزام، حكيم في قراراته، يلتزم الصمت في موضعه والحديث من غير هذر ولا إكثار، في خشونته حنان، وفي رجولته وسامة، في تعامله ذوق رفيع، وفي شبابه حفظ الله فحفظه الله في شيبه، وبعيداً عن أشباه الرجال هكذا هو الرجل في أفضل حالاته.

"الأبطال لا يُصنعون في صالات التدريب، الأبطال يُصنعون من أشياء عميقة في داخلهم هي: الإرادة والحُلم والرؤية"

محمد علي كلاي.

* * * *

الرومانسية

الرومانسية هي أن تتراءى في عيوننا وجوههم المبتسمة فتبتسم شفاهنا، وتهمس في آذاننا قلوبهم الدافئة، فتأنس قلوبنا بدفئها.

الرومانسية هي أن تختلسنا ضحكاتهم الهادئة من عمق صمتنا فتسرقنا لنكون أبطالاً في مسرح حياتهم حيث الفرحة، وتفضح عيونهم من الأحاسيس أرقَّها فتعبث في عقولنا عبثاً نعشقه ولا ننكره.

الرومانسية هي أن تتلعثم الكلمات متأنية في خروجها من أفواهنا فتؤثر على ذلك أعذبها لترِقَّ لسماعها الآذان، فتهيم القلوب وتنتشي العقول.

الرومانسية هي أن تدق القلوب مع بعضها البعض قبل أن تتصافح العيون، فتوصلنا لحديث لا يتقنه إلاّ من كان مواطناً في مملكة العشق.

ولكنَّ الرومانسية في أسمى وأصدق معانيها في حياة أحرار الرجال هي التزام بالوعد، ووقوف على العهد، وتناغم بين نطق اللسان وعمل الأبدان، وفي حياة صاحبات العفة من النساء هي يقظة وحذر واعٍ، وفهم عميق يلامس الواقع في كل معانيه ولا يخرج عن حدود الأدب والخلق الرفيعٌ.

ســبيت فؤادهــا وسبـــت فـــؤادي

ولكـــن مـــا سبـــت إلا سرابـــا

فرأسـي فـي الهـوى قـد شـاب طفـلاًً

وقلبـــي عـــن ذنـــوب الحـــب تابـــا

فقلبـــي للهـــوى يهـــوى انغلابـــاً

وتـــأبى النفـــس للقلـــب انغلابـــا

إذا نـــادى الهـــوى والعقـــل يومـــاً

فصـــوت العقـــل أولـــى أن يجابـــا

فلانـــــة لاتلومـونـــــي فـإنــــي

شـــبعت مـــن الهـــوى خـــلا وصابـــا

لأقضـــي فـــي الهـوى العـذري وجـداً

ولســت أخـــون فـــي الـــود الصـــحابا

اغتيال

في حرمان الإنسان من الطفولة اغتيال للبراءة،
وفي حرمانه من الأمن اغتيال للشجاعة،
وفي حرمانه من الإيمان اغتيال للطمأنينة،
وفي حرمانه من الصداقة اغتيال للثقة،
وفي حرمانه من المغامرة اغتيال للرجولة،
وفي حرمانه من العمل اغتيال للمستقبل،
وفي حرمانه من الحب اغتيال للمشاعر،
وفي حرمانه من المال اغتيال للعيش الكريم،
وفي حرمانه من الكرامة اغتيال للسعادة،
وفي حرمانه من العائلة اغتيال للسكينة،
وفي حرمانه من العلم اغتيال للريادية،
وفي حرمانه من الثقافة اغتيال للتميز،
وفي حرمانه من المعرفة اغتيال للنجاح،
وفي حرمانه من الهدوء اغتيال للفكر،
وفي حرمانه من الحرية اغتيال للأمل،

* * * *

عنواني

أدعوكم لزيارتي، فإن قبلتم الدعوة فاعلموا أنني أسكن بيتاً أساسه متين، أرضه صلبة ومخصصة للبناء، حيث أُسست قواعده لتكون معدَّة للتطاول في البنيان، في داخله أرى الغيوم ماطرة دون أن أبتلَّ وأشعر بالرياح العاتية دون أن يبرد كوب الشاي في يدي، في بيتي هذا تزورني الشمس مشرقة باسمة تحييني تحية السلام وتجلس كعروس في عرسها فأغازلها بإذن زوجها وأرسمها حال غروبها، وفي بيتي أيضاً في كل يوم شيء جديد قد أبنيه أو أزرعه وفي بعض الأيام الأخرى هناك أشياء أصلحها فكل أشياء هذه الدنيا تحتاج يوماً ما لتغيير أو إصلاح، بيتي هذا في الماضي كان مجرَّد أرضٍ جرداء، في الحاضر هو بيت جميل، وفي المستقبل آمل أن تملأ الحياة أركانه.

التوقيع: إنسان عنوانه العمل والمثابرة وشعاره النجاح

"أنا فنان قادر على الرسم بكل حرية في مخيلتي، فالخيال أكثر أهمية من المعرفة، لأنَّ المعرفة محدودة، بينما الخيال لا حدود له، يلفُّ العالم كله"

ألبرت آينشتاين

*** * * ***

يقول نزار قباني في قصيدة مهداة لأمِّه (بتصرَّف)

صباحُ الخيرِ يا حلوة..

سلامات.. سلامات

إلى بيتٍ سقانا الحبَّ والرحمة

إلى أزهاركِ البيضاءِ..

فرحةِ "ساحةِ النجمة"

إلى تختي..

إلى كتبي..

إلى أطفالِ حارتنا..

وحيطانٍ ملأناها..

بفوضى من كتابتنا..

إلى قططٍ كسولاتٍ

تنامُ على مشارقنا

وليلكةٍ معرشةٍ

على شبّاكِ جارتنا

*** * * ***

إلى من يهمه الأمر

تشهد الجمعية العامة للعلاقات الإنسانية أنها ليست مسؤولة وبأي شكل من الأشكال عن أي سوء فهم للمشاعر المتبادلة من شخص لآخر ما لم يكن هناك تصريح باللسان أو بيان بالبنان وتعتبر نفسها بريئة من أي سلوك جانب الصحة بعد

انعكاس التحليل الخاطئ لهذه المشاعر، كما وتؤكد هذه العلاقات وبالإجماع على شرعية حقها بالتقدم بدعوى قضائية تجاه أي سلوك جاوز الحدود المسموح بها ممثلة بحدود الشرع والعرف والأدب والذوق.

حضر الاجتماع أعضاء الهيئة الإدارية التالية أسماؤهم:

الإخلاص: يعمل جاهداً في ميادين العلاقات الصادقة متسلِّحاً بصفاء النية، وحسن الظنِّ،

التواضع: يعمل وباحتراف لتليين القلوب وزرع أسس العدالة بين البشر كافة.

الوضوح: يعمل بوجهه الأبيض وملامحه الهادئة على حلِّ سوء الفهم الدائم بين البشر.

التضحية: آنسة لطيفة مبادرة وما تملكه في جيبها ليس لها ، هو تقدمةٌ تقدمه لكل محتاج.

التسامح: سلوك يعمل كل وقته وهو في بيته، بيت النبل الواقع في مدينة الخلق الحسن.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

رئيس الجمعية العامة للعلاقات الإنسانية

سيد العلاقات الناجحة: الصدق

يقول الشاعر عبدالرحمن العشماوي

أصدَّ جيوش الوهم عني وفي يدي
حسامٌ - من الإيمان بالله - ضاربُ
وما أنا ممن يُنْسَجُ الظنَّ حولَهُ
على غير بابي تستقرُّ العناكبُ

* * * *

الصداقة

الصداقة هي رباط اجتماعي تفرضه حاجاتنا الإنسانية التي لا تكتمل إلَّا بوجود الألفة والمحبة بين بني البشر، والتي من أهم أسبابها رابط الدم إلَّا أن هناك من العلاقات الإنسانية ما تألف له النفس وتطمئن وإن لم تشمل ذلك الرابط، فهناك من البشر من يشكلون ركناً أساسياً في حياتنا، فلا طاقة لنا على التفريط بهم حيث ليس لوجودهم في حياتنا من بديل -إذ تتجسد فيهم مرآة تعكس ذاتنا- ذلك أنهم بقدر ما سكنوا قلوبنا أسكنونا قلوبهم في أوقات الرخاء كما في أوقات الشدَّة، فكان في صداقتهم سعيٌ دائمٌ للعطاء أكثر من سعيهم للأخذ فتجسد في سلوكهم صدق التعامل وصفاء النفس وطيب المعشر.

"هنالك بشر كاللؤلؤ النفيس، صحبتهم شرف ورفقتهم ضمان والتواصل معهم حق والدعاء لهم واجب وفقدانهم خسارة والعجز عن إيجاد أمثالهم من جديد حقيقةٌ وهَمٌّ".

قال رجل لداوود الطائي أوصني .. قال: "اصحب أهل التقوى فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤونة، وأكثرهم لك معونة"

قال الإمام الشافعي:

سـلام علـى الـدنيا إن لـم يكـن بهـا
صديق صدوق صادق الوعد مخلص

* * * *

أيها المسافر

تذكرأنك تركت أجساداً حلَّقت قلوب أصحابها معك فلا تنسها، واعلم أنك ما سافرت إلا لغاية فلا تعد دونها، وتعلَّم من الطيور المهاجرة أنَّ كل رحلة لا بدَّ لها من نهاية حيث تعود إلى أعشاشها في موطنها وقد اشتدَّت أجسادها وقويت عزيمة أجنحتها على الطيران، ولا تنسَ أنَّ في السفر غربة نفسٍ عن أهل ووطن ما قد يستوجب التضحية، فلتقدم على ذلك على ألَّا تضحي بأكثرَ مما تكتسب واحذر أن تستبدل الرخيص بالثمين، ولتتعلم من ثقافة الغير ما لا يتعارض وقيم ثقافتك، وابذل من الجهد أكبر القدر لتعلِّم الغير من ثقافتك أرقاها ومن لغتك أبلغها ومن أخلاقك أحسنها، ولا تنسَ في وداع الأهل والأصحاب إبتسامة دافئة ووعداً صادقاً.

يقول أبو فراس الحمداني

يا طولَ شَوْقيَ إن قالوا: الرّحِيلُ غدا،

لا فَــرّقَ اللهُ فِيمَــا بَيْنَنَــا أبَــدَا

يـا مـنْ أصـافيهِ فـي قـربٍ وفـي بعدِ

وَمَـنْ أخَالِصُـهُ إنْ غَـابَ أوْ شَــهِدَا

راعَ الفــراقُ فــؤاداً كنــتَ تؤنســهُ

وَذَرّ بَـينَ الجُفَـونِ الـدّمعَ والسُّــهُدا

لا يُبْعِــدِ اللهُ شَخْصــاً لا أرَى أنَســاً

وَلا تَطِيــبُ لــيَ الــدّنْيَا إذا بَعُــدا

* * * *

إن احتاج الأمر فالتغضب

إذا فشلت في أمر وكان في فشلك تقصير منك فاغضب من تقصيرك، فالغضب بركان يفجر الهمَّة والعزيمة في النفس.

وإذا انصرف عنك النصر فاغضب من تخاذلك وضعف سلاحك، فالغضب يصقل السيوف الصدئة.

وإذا انصرف عنك الأصحاب لصحبة صديق غيرك صدق قلبه وعذب قوله فاغضب من غرورك، فالغضب يطرد من النفس الغرور.

وإذا لم تنجح في مواجهةٍ ما فاغضب من خوفك، فالخوف باب الفشل والغضب يشعل نيراناً تحرق كل قلاع الخوف مهما علت أسوارها وارتفعت أبراجها.

وإذا رأيت المنكر يسير علانية بين الناس مزهوَّاً بنفسه فاغضب، فالغضب يدفع بك لأن تغير المنكر أوَّلُ ما تغيره بيدك.

إذاً فلنغضب وليكن هذا الغضب إعلاناً برفض وضع قائم غير مرغوب،

وليكن هذا الغضب موجة قويةً ولكنها هادئةٌ وموجهةٌ في الطريق الصحيح للتغيير.

ولنغضب وليكن هذا الغضب محرّكاً للعمل الدؤوب الجاد والهادف.

يقول كمال خيربك

نهر من الدمع. أم نهر من الغضب؟

من أيقظ الجرح في صدري وفي
كتبي

مرت قوافلكم في الليل فاختلجت
أوتار حزني في أعماق مغتربي
و غاب شعري عن أعراس ساحتكم
لكن ناري لم تخمد ولم تغب
أعود نحوكم من بعد ما عبر
قوافل الحزن والالام والغضب
هيا اقرأوا دمكم، تعلو فصاحته
على الخطابة والاشعار والادب
أدعو الحجارة أن تصغي لضجته
وتستفيق، فمن يسمع ومن يجب

* * * *

صور مشوَّهة

عندما تتجسد الصفات الإنسانية والعلاقات البشرية في المسلسلات التلفزيونية والأفلام السينمائية والفكاهات المسرحية المبالغ في فكاهتها فتخرج عن نطاق الصواب والمألوف، فيكون في صورة الأمومةُ عجزاً ورغبة في التملّك والسيطرة، ومن صفات الأبوة استبداداً في القرار وتلذذاً في التسلّط، ومن مستلزمات تميز الأبناء وجوباً للحرّية الزائفة وغرساً للنضوج الواهم، ودعوة للثورة على القيم والعادات وأحياناً على الذات، ويكون في علاقات الأزواج خيانة زوجية مشروعة، إذ تستميل هذه الخيانة قلوبنا لما يعرض من أطر تعاني فيه أبطال وشخوص هذه الأدوار من خلافات أسرية طبيعية يبالغ في وصفها، لتخرج النزوات بلباس العذرية بحثاً عن عاطفة تائهة أو علاقة واهية، فيُدَقُّ بذلك المسمار الأول في نعش البيت وينادى لصلاة الغائب على روح الأسرة بعد اكتمال الظن في صواب العمل وصلاح النيةً، فتنكسر فينا القيم والأصول الشرعية وتتبعثر في إنسانيتنا المبادئ الأخلاقية.

* * * *

لا

في كثير من مواقف حياتنا اليومية نُواجه بعبارات الرفض ممثلة وملخَّصة هذه العبارات أياً كان أسلوب إعلامنا بها بكلمة"لا"، "فلا" كلمة ثقيلة على النفس نكره سماعها والإذعان لها وننكر على الآخرين مواجهتنا بها وتشعرنا في بعض الحالات بأننا الأقلّ مرتبة والأحوج للغير، وقد يعني الرفض المعلن في وجوهنا من وجهة نظرنا أننا نكرة وأننا في حياة الآخرين لسنا سوى وجهة نظر حيث لهم الحق بأن يسلبونا الإرادة ويقتلو فينا العزيمة.

غير أنَّ الأمور لا تجري على هذا النحو:

إذ إنَّ أبجدية "لا" حالما يسمعها الابن من الأب هي ضربٌ من ضروب التربية إن أُتبعت بالتعليل والتفسير واستبدل المرفوض بالبديل المقبول، و أنشودة "لا" في وقتها من المعلم لتلاميذه تعني رفضه سلوك التقصير والإهمال أو الغشِّ والتزوير.

"لا" في عمقها هي منظومة من القواعد من أهمِّ أبجدياتها الابتسام في الإعلان وبيان سبب الإقرار، وقرار يُؤخذ عن علم ودراية.

"لا تخشَ الرفض، فالغزالة الجريحة تقفز مسافة أطول"

فارح جراي

يقول الشاعر يحيى توفيق حسن في قصيدته أبداً...لا

لن تهوني يابلادي لن تضامي

سوف نحيا العمر في عز نحامي

عن حماكِ

لا تسلني يا رفيق الدرب إني

افتديها بأبي الغالي وابني

لا تسل كيف جعلنا القفر والصحراء

بالاصرار خصباً

لا تسل كيف قهرنا الصخر ذللناه

حتى صار درباً

لا تسل كيف سحرنا البحر ذوبناه

حتى بات عذباً

لا تسل كيف زرعنا الليل والآفاق

أقماراً وشهبا

كل باغٍ رامنا بالغدر

اشبعناه حرباً

كل من والاك او واساك

أسكناه قلباً

أبداً لا لا

لن تهوني لن تذلي يا بلادي

كلنا شعبٌ يعادي من تعادي

يابلادي

* * * *

زواج

شرَّع الله الزواج قاصداً للإنسان السكينة والطمأنينة، وحفظاً لنفسه من اتباع الهوى ولنسله من الاختلاط والضياع وفقدان الحقوق وانعدام واجبات الأزواج والزوجات، وواجبات الآباء في التربية والأبناء في الطاعة، وقاصداً في ذلك الرباط المقدس أيضاً العمارة والبناء والازدهار للكون.

وكان في سلوك البشر الذي سيَّره الله اكتشافاً لشرعية هذا العقد وتوثيقه وإشهاره وإعلانه - وما خرج عن هذه الأطر خرج عن نطاق الشرعية-، واتباعاً لأساليبَ ومناهج في التخير لانتقاء طرفي هذا العقد، واتساعاً في معايير هذا الاختيار لتتعدى جمال الشكل و كثرة المال لتشتمل الدين والمنبت فترتسم بذلك أسسُ التوافق

والتجانس في الدين والثقافة والتكامل والتقارب في الميول الشخصية والتوجهات الفكرية فتكون عناصر الأسرة الأولى وحدة واحدة مترابطة ومتناغمة ونواة طيبة حيث الطيبون للطيبات.

"دخل عمران بن حطان يوماً على امرأته ، وكان عمران قبيح الشكل ذميماً قصيراً وكانت امرأتهُ حسناء، فلما نظر إليها ازدادت في عينه جمالاً وحسناً فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، فقالت: ما شأنك؟ فقال: الحمد لله لقد أصبحت والله جميلة، فقالت: أبشر فإني وإياك في الجنة إن شاء الله، فقال: ومن أين علمت ذلك؟ فقالت: لأنك أُعطيت مثلي فشكرت، وأنا أُبتليت بمثلك فصبرت والصابر والشاكر في الجنة."

*** * * ***

لماذا الحرمان؟

أن تصحَّ أجسادنا فلا تمرض، وأن تفرح نفوسنا فلا تحزن، وألَّا يكون للفقر علينا من سلطان، أمور يشتهيها القاصي والداني من بني البشر على اختلاف ثقافاتهم ودياناتهم وتمايز درجاتهم العلمية ومناصبهم الوظيفية، فيتمنون أن تحيط بهم النعم فلا تفارقهم.

ولكن الحرمان من بعض ما نرغب ونشتهي سنة من سنن الله في كونه حالت دون امتلاك الإنسان كامل نعم الحياة لما في ذلك من دواع لاستشعار الحاجة له تعالى وتذوق لذة اللجوء إليه والدعاء له، وانعتاق من الأنانية لَلذات بسبب ما تدركه النفس عن معاناة الآخرين واحتياجاتهم البدنية والنفسية والعقلية فيكون:

في الغنى بعد الفقر تواضعٌ للفقراء ومدٌّ ليد العون لهم،

وفي الصحة بعد المرض عيادةٌ للمرضى ودعاءً لهم ،

وفي السعادة بعد الحزن رفقٌ بالمحزونين وإرشادٌ لسبل السعادة الحقيقية،

وفي العدالة بعد الظلم دافعٌ لنصرة المظلومين،

وفي القوة بعد الضعف بعدٌ عن التجبر والطغيان على ضعاف الخلق،

وفي النصر بعد الهزيمة رأفةٌ بالبشر والشجر،

وفي التوبة بعد المعصية دعاءٌ إلى الله بالهداية للعاصين والمغفرة للتائبين والتجاوز عن أخطائهم،

يقول عبدالله البردوني

مـــا بـــين ألـــوان العنـــا	ء و بـــين حشـــرجة المنـــى
مـــا بـــين معتـــرك الجـــرا	ح و بـــين أشـــداق الفنـــا
مـــا بـــين مـــزدحم الشـــرور	أعـــيش وحـــدي هاهنـــا
أهـــوى و ألقـــى غيـــر مـــا	أهـــوى ، فمـــاذا أشـــتهي ؟
لا أســـعد المهـــوى ولا	جـــوع الهوايـــة ينتهـــي

أنـــا حيـــرة المحـــروم تنــــ	تحــــر المنــــى فــــي صـــمته

* * * *

دموعي غالية

لأنَّ دموعي غالية بغلاء ما يرافقها من مشاعر، ولأنَّ دموعي صادقة بصدق تعبيراتها الدافئة، ولأنَّ دموعي اعتادت أن تخونني خيانة بريئة في أكثر المواقف التي أكره فيها الخيانة كمواقف الفراق والوداع، أقسم أنني لن أنسى أولئك الذين أبكوني حرقة على فراقهم، وأقسم أنني لن أنسى من فضح أسرار عيوني فأبكاها لما سببه من ألم وحزن، وأقسم أنني سأعلِّم عيوني أنشودة فرح وألقِّمها قصيدة عز وأفهمَّها دعاء خير، وأجبرها على إطالة النظر في أسباب الفكر فتسلك سبل الحكمة منهجاً، وتتخذ قصور العلم مأوىً ومسكناً.

"احرق كل مراكب العودة، بذلك تحافظ على حالة ذهنية اسمها الرغبة الجامحة في تحقيق النجاح واللازمة لإدراك أي نجاح"

نابليون هيل

يقول حافظ إبراهيم

لِـــذَلِكَ الحَــدِّ لَـــم تَبلَـــغ مَوَدَّتُنـــا	أمـــا كَفــى أن يَرانـــي اليَـــومَ مُنتَحِبـــا
هَــذي دُمــوعي عَلــى الخَــدَّينِ جارِيَـــة	حُزنـــاً وَهَــذا فُــؤادي يَرتَعــي لَهَبـــا
أقسَـــمتُ بِـــاللهِ إن كانَـــت مَوَدَّتُنـــا	كَصـــاحِبِ الكَلْـــبِ ســاءَ الأمــرُ مُنقَلَبـــا
أعيـــذُكُم أن تَكونـــوا مِثلَـــهُ فَنَـــرى	مِـــنكُم بُكـــاءً وَلا نُلفـــي لَكُـــم دَأبـــا
إن تُقرِضـــوا اللهَ فـــي أوطـــانِكُم فَلَكُـــم	أجـــرُ المُجاهِــدِ طــوبى لِلّـــذي اكتَتَبـــا

* * * *

لماذا !

لماذا علينا أن نؤمن بالعدالة ونحن نرى أطفالاً يرتمون في الشوارع والأزقَّة ليس لهم من أهل ولا بيت!

ولماذا علينا أن نؤمن بالواجب ونحن نرى أباءً وأمهات طاعنين في السن قد تنقذهم زوايا السبيل أو بيوت الرعاية من موت ذليل!

ولماذا علينا أن نؤمن بالإخوة ونحن نرى المال يقطع الأخ عن أخيه كما السيف يفصل الرأس عن الجسد!

ولماذا علينا أن نؤمن بالدين ونحن نرى المنكر يكبر بيننا يحرق الأخضر من الحرث ويهوي بالضعيف من النسل!

ولماذا علينا أن نؤمن بالكرامة وقد ارتضينا لأنفسنا الدرك الأسفل منزلة بين الأمم!

ولماذا علينا أن نؤمن بالتضحية شعاراً وقد تملكنّا الخوف كما تملَّك سيد ابتاع عبداً من سوق الرقِّ فليس لهذا العبد إلَّا الطاعة العمياء!

ولماذا علينا أن نؤمن بالقانون ونحن نرى الحقوق ضائعة والحرمات منتهكات!

هذه هي تساؤلات أولئك الذين حرموا أنفسهم الإيمان الحق بكامل أركانه والذي لا يكتمل إلَّا بنطق اللسان وتصديق الجوارح وعمل الأبدان.

"اللهم إني أسالك إيمانا دائما وأسألك قلبا خاشعا وأسألك علما نافعا وأسألك يقينا صادقا وأسألك دينا قيما وأسألك العافية من كل بلية".

* * * *

فارس قبيلتنا

عاشت في الماضي أمم وحضارات اندثر منها البعض وخلدت الأخرى، في بعض اعتقاداتي حول سبب اندثار البعض هو إيمان أفراد هذه الأمم بحكاية فارس القبيلة حيث يحكى أنَّه في يوم من الأيام سيظهر في قبيلتنا فارس لا يُشقُّ له غمار سيعيد الأمجاد لقبيلتنا ذات النسب الرفيع وسيعيد لنا عهدنا بالمجد، ويقال أنَّ هذا الفارس حاله كحال أجدادنا في الشجاعة ونبل الأخلاق فهو لا يستضعف ضعيفاً ولا يقاتل أعزلاً ولا يقتل طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة.

وجاء إيمان الكثيرين من هذه الأمم كما ورد في إحدى مذكرات بعضهم "بأنه عندما يظهر هذا الفارس ولأنه مصدر إلهام لي أقسم أنني سألتزم خلقه سلوكاً وشجاعته مذهباً، سأنتظره أنا وصحبي لنرفع وإياه راياتنا لتشهد الأرض فجراً جديداً وسيكون فينا عظماء التاريخ وستروي الحكايات والقصص عن بطولاتنا، وسيسطر التاريخ أمجادنا، وستخلد أُمَّتنا".

الغريب فيما ورد عن بعض هذه الأمم المندثرة ظهور الفارس ومع ذلك فكل ما تبقى منهم قبور تخبرنا عن أمة عاشت بالوهم والتواكل وانتهت ولم يسطر التاريخ عنها في مذكراته إلَّا هذه المخطوطة.

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَنَا:

" إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَلِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا فِي النَّاسِ كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ"."مسند الإمام احمد "

"لا تضيع الوقت في الانتظار، فالوقت المناسب لن يأتي، ابدأ من حيث تقف، واستعمل ما توفر في يدك من أدوات، وكلَّما تقدمت في طريقك ستعثر على أدوات أفضل مما كان معك حين بدأت" نابليون هيل

وقال المتنبي:

إذا غـــامَرْتَ فـــي شَـــرَفٍ مَـــرُوم	فَـــلا تَقنَـــعْ بمـــا دونَ النّجـــوم
فطَعْـــمُ المَـــوْتِ فـــي أمْـــرٍ حَقِيـــرٍ	كطَعْـــمِ المَـــوْتِ فـــي أمْـــرٍ عَظـــيم
يـــرَى الجُبَنـــاءُ أنّ العَجـــزَ عَقْـــلٌ	وتِلـــكَ خَديعَـــةُ الطّبـــعِ اللّئـــيم

وكــلّ شَــجاعَةٍ فــي المَــرْءِ تُغنــي	ولا مِثــلَ الشّــجاعَةِ فـــي الحَكــيم
وكــمْ مــن عائِــبٍ قــوْلاً صَــحيحاً	وآفَتُــــهُ مِــنَ الفَهْــم السّـــقيم
ولكِــــنْ تأخُـــــذُ الآذانُ مِنْــــهُ	علـــى قَـــدَرِ القَـــرائح والعُلَـــوم

* * * *

حضرت ولم أجدك

صديقي! ضقت ذرعاً بما يجول بخاطري من هواجس وأفكار، هي كثيرة ومبعثرة، أصبحت متردداً في خطاي، حائراً في رغباتي، مشتتاً ومنهكاً،أتيت أشكوك حالي، ولكن يا صديقي حضرت ولم أجدك.

في الأمس كنَّا قد عرفنا من الأنس أشكالاً عديدةً، وجالسنا من الفرح وجوهاً كثيرة، فكنَّا في الصداقة مضرب المثل، وفي التقارب شعاراً ونبراساً يحتذي به المترافقون ويسترشد به المتصادقون.

ولكننا إذ كبرنا وخلا كلٌ منا إلى أشغاله وأعماله وتباينت الأحوال فأتاك الرزق على عجل فأمنت على نفسك واقتادتني الظروف وتلاعبت بي الأهوال، أجدك يا صديقي قد فضَّلت البعاد وغاليت في ذلك على غير ما تعودت منك في الأيام الخوالي، كما تغيرت الأحوال وانقلبت الموازين والذي كما تذكر كنت لا أنساك فيه من نصيب من رزقٍ رُزقته.

ولكن هل تعلم يا صديقي أنني لست ألومك ولا أعاتبك فليس اللوم عليك ولا العتاب لك إنما أنا أعني نفسي في العتاب وأشددُّ عليها اللوم فأنا لم أتخير في الصحبة حامل المسك.

يقول عبد الرحمن العشماوي (بتصرَّف)

يـــــاصديقا عشـــــت أيـــام صفــــاءٍ

تنـطـــوي فـــي ظلهـــا الأوهـــام طيـــا

أيـــــن ذاك الـــــود يـــامنكــــــره

يـــوم كنـــا ننســـج الحـــب سويـــا

راقـــب الأيـــام فـــي رحـــلتها
وتـــرى السـابـــح فـــي أفكـــاره
وتـــرى فيـهـــا فـــقيراً وغنيـــا
وتـــرى المغمـــوس فـــي لـوعتـــه
وتـــرى فيهـــا عصيـــاً وتـقيـــا
كـلهـــم يمضـــي إلـــى وجهتـــه

ثـــم يـأتـــي المـــوت لايتـــرك شـــيا
يـافـــؤادي لاتجامـــل صاحبـــاً
خيـــر مـــافي المـــرء إن رام الهـــدى
وصـــلاح الأمـــر أن يبقـــى وفيـــا

* * * *

ثلاثة ميتون وواحد حي

ثلاثةٌ:

أولهم: رجل بحب المال عاش الدنيا، وفي عمله أبدع وأنجز، فكان أولاً قبل الآخرين،

والثاني: رجل جعل لقلبه حق السيادة والرياسة، فضحى للحبيب بالكثير، وكان أولاً قبل الآخرين.

وثالثهم: رجل كان لنفسه الغلبة، قادته وسَيَّرته وبالنشوة منَّته، فأسلم لها وسلَّم، وكان أولاً قبل الآخرين.

وكانت نهاية حياتهم بالحق الذي نكره ونخاف، حيث جاءت سكرة الموت، فتعدَّدت الأسباب:

فأولهم: في مكتبه، وبين أوراقه صابّاً جامَّ غضبه على عماله وصنَّاعه، فاحتدَّ

صوته واختلَّت إيقاعات جسده واضطربت نبضات قلبه إلى أن توقفت، فخرج من الدنيا تاركاً مالاً وفيراً في كثرته كان الخلاف والاختلاف بين الأهل فانقلب من سبب للسعادة ليكون سبباً للشقاء والتعاسة على غير ما خلق له، فما بُذل من جهدٍ في جمع المال لم يبذل مثله في تربية النفوس.

والثاني: تاه عن الحب الأعظم وهو حب الخالق، فضاقت عليه الدنيا، حينما لم يكن له في الحبيب من نصيب، وكان أن قضى في اللهفة والانتظار الساعات الطوال يمنِّي نفسه برؤية من يحب ليروي ظمأه، ويشفي سقمه، فخرج من الدنيا على غير الحال التي دخلها حيث الجسد النحيل والفكر العليل.

وثالثهم: عاشر من الشرور الكثير وجانب الحق في أيسر الأمور فجانبه الحق في أصعبها، فكان من المفسدين في الأرض، فخرج من الدنيا في أبشع حال دون أن يكون لعقله على جسده من سلطان بعد أن عاقرجسده من المشروبات والمأكولات شرَّها ، فلم يأتِ على ذكره بعد موته إلَّا كلمات السخط.

فثلاثتهم ميتون،حيث أنَّ أولهم عاش بماله ولماله، وثانيهم عاش بهوى قلبه، وثالثهم عاش بشهوة جسده،

أما رابعهم:

فقد كانت دنياه دار ممر وعمل وآخرته دار مقر وراحة، فعمل لدنياه كأنه سيعيش أبداً فتعلَّم وعمل واجتهد في أن يرتقي بين النَّاس بأطيب الأساليب وأطهر الأعمال، وعمل لآخرته كأنه سيموت غداً فصلَّى صلاته، وأدّى واجبات الله وحقوق الناس، وأكرم دينه وأهله، فذكره الله -الحي الذي لا يموت- فيمن عنده في الدنيا، وأعلى منزلته في الآخرة.

جاء في كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي:

"وفي قوة قهر الهوى تزيد كل لذة. ألا ترى إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلاً، لأنه قُهر بخلاف غالب الهوى فإنه يكون قوي القلب عزيزًا لأنه قَهر، فالحذر الحذر من رؤية المُشتهى بعين الحسن، كما يرى اللص لذة أخذ المال من الحِرز، ولا يرى بعين فكره القطع، وليفتح عين البصيرة لتأمل العواقب واستحالة اللذة نغصة، وانقلابها عن كونها لذة إما لملل أو لغيره من الآفات، أو لانقطاعها بامتناع الحبيب، فتكون المعصية الأولى كلقمة تناولها جائع، فما ردت كَلَب الجوع، بل شهّت الطعام. وليتذكر الإنسان لذة قهر الهوى مع تأمل فوائد الصبر عنه، فمن وفق لذلك كانت سلامته قريبة منه".

جاء يسرق فسرقناه

دخل لصٌ بيت مالك بن دينار، فما وجد شيئاً ليسرقه؛ فأحسَّ به مالك، فناداه وقال له: لم تجد شيئاً من الدنيا، فهل ترغب بشيءٍ من الآخرة؟ فأجاب اللص: نعم، فقال له مالك: إذهب وتوضأ وصلِّ ركعتين، ثمَّ إصطحبه إلى المسجد، فسئل مالك من هذا، فأجاب: جاء يسرق فسرقناه.

لذلك:

عندما نمد يداً لفقير محتاج فنحن نسرقه من بعض فقره.

وعندما ننير عقولاً بالعلم فنحن نسرق أصحابها من ظلمات الجهل.

وعندما نقبِّل أيدي أمهاتنا وآبائنا- وقد أصبحنا أمهاتٍ آباءً- ونتوسل إليهم دعاءً إلى الله يفرِّج همَّنا أو يزيد رزقنا فنحن نسرقهم من شعور بالوحدة والإهمال، أو من اعتقادٍ لديهم بأنهم أصبحوا في طي النسيان.

وعندما تصدح ألسنتنا بالحق لننصر ضعيفاً فنحن نسرق ظالماً من إيمانه الوهمي بجبروته، ونسرق مظلوماً من يأسه، ونكون سبباً من أسباب الحق.

وعندما نتشارك نحن وصديق همومه وقصص عدم نجاحه فنحن نسرقه من حواره مع ذاته بتقليل الذات.

وعندما نبدأ بالآخرين حيث يكونون من ضعف أو حاجة أو شعور سلبي وننتهي بهم حيث نريد من قوة و اكتفاء وقناعة حقيقية وشعور إيجابي، فتلك سرقة، سرقة مباحة لطيب نيتها و صلاحية عملها إذ يوافق الشرع والحكمة.

* * * *

رصاصة أطلقت، لن تعود

لن ترجع رصاصة إلى مخدعها في سلاح ناري أُطلقت لحظة غضب، وإن أحدثت نزفاً مميتاً في جسد عزيز صُوِّب السلاح نحوه وإن تقدمنا بأجمل كلمات الاعتذار.

ولن تتداعى السماء ولا الأرض على كلمة خرجت من أفواهنا لحظة تسرُّع لتمنعها من اختراق الآذان والتي قد يدمى لسماعها قلبٌ محبٌ و تحزن نفس طيبة وتدمع عين، وإن صرخنا وتمنينا الأماني بأن يعود الزمان للوراء ولو للحظات لنحول دون وقوع المحذور.

ولن تُشفى يدٌ معلولة من بطشها امتدت ظلماً وتجبراً على حقوق العباد فانتهكت حرماتهم واغتصبت حقوقهم وإن امتدت في علانيتها أمام الناس بالزكاة والصدقات.

يقول الدكتور عبد الرحمن عشماوي

أسـمى صـفاتِكَ أنْ تكـون كريمـا
وتكـونَ بَـراً بالعبـاد رحيمـا
أسـمى صـفاتِكَ أنْ تكـونَ مميَّـزاً
بسـداد رأيـكَ فـي الأمـور، حكيمـا
تسـعى بـكَ الـدنيا، وأنـتَ تقودُهـا
بـالحقِّ، تُسْـعِدُ قلبهـا المهمومـا
أسـمى صـفاتكَ أنْ تـرى الـدنيا بـلا
غَـبَشٍ، وأنْ يبقـى الفـؤادُ سـليما
ترمـي بسـهمكَ، لا لِتَقْتُـلَ آمنـاً
لكـنْ لتحـرُسَ خائفـاً محرومـا
تسـعى إلـى كَسْـبِ العلـومِ تقرُّبـاً
للهِ، لا ليُقَـالَ: صـار عليمـا
أسـمى صـفاتكَ أنْ تحلِّـقَ عاليـاً
بجنـاح عـدلكَ، تنصـر المظلومـا

* * * *

ويقولون إنَّ الله سلَّم

نجا خمسة أفراد من حادثٍ مروع إثر تحطم سيارتهم بعد تجاوز حدود السرعة المسموح بها، فقالوا: إنَّ الله سلَّم!

نجح صديقٌ لي في امتحاناته، ولم يدرس جيداً، وقال: إنَّ الله سلَّم!

شُفي قريب لي -عُرف عنه كثرة التدخين- من سكتة قلبية، وعاد إلى عهده بالتدخين وقال: إنَّ الله سلَّم!

تركت جارتنا أبناءها الصغار عند المدفأة في البيت وحدهم، وبعد عودتها وجدت أن رحمة الله وسعتهم، فقالت: إنَّ الله سلَّم!

خرجت أسرار الزوجية من نطاق بيت صديق لي، فانفجر بركان في البيت، ولولا تصاريف العلي القدير لفقد هذا البيت أهمَّ أركانه وأنهدم على رأس من فيه، فقال فاضح السرِّ من بين الزوجين: إنَّ الله سلَّم!

أُعتدي على أناس – من غير وجه حق- جُلُّ ذنبهم أن يقولوا ربي الله، فأمدَّهم الله بنصره، فقال الإعلام: إنَّ الله سلَّم!

دائماً وأبداً الله يسلِّم ويقدر الخير في مشيئته، ولكن!

إلى متى إهمالنا؟ حيث وجب الاجتهاد.

وإلى متى تهورنا؟ حيث وجب التروِّي والتعقل.

وإلى متى تواكلنا؟ حيث وجب التوكل.

وإلى متى تخاذلنا؟ حيث وجبت النصرة.

والى متى صمتنا؟ حيث وجب الكلام.

والى متى تقاعسنا؟ حيث وجب العمل.

"كل ليلة وقبل أن تنام اكتب ستاً من أهمِّ المهام التي يجب أن تفعلها في اليوم التالي، حين تنام سيعمل عقلك اللاواعي على الوصول إلى أفضل الطرق لأداء هذه المهام، وفي اليوم التالي ستجد كل شيء يسير بشكل أفضل" توم هوبكنز.

قال ابن الرومي:

مــن أخــذ الحــذر مــن المحــذور		قــلّ تجنّيــه علـــى المقـــدور

فليحـــزم النـــاظر فـــي الأمـــور	فـــإن نجـــا مـــن كبـــوة العثـــور
لـــم يـــنج منجـــى حـــائنٍ مغـــرور	يحملـــهُ يومـــاً علـــى الغـــرور
وإن كبـــا والعـــذر للمعـــذور	لـم يـؤتَ مـن مـأتى الضـعاف الخـور

* * * *

زهرة السلام

زهرة السلام هي رواية عذبة في كل كلماتها تنشدُّ لها العقول، وكلمات شعرية امتزجت واضاءات شموع رومانسية صامتة.

زهرة السلام هي باقة وردية تتناجى داخلها أطياف أرواحٍ تغنَّت بعبق الجمال، وصَدَفَةٌ يتجمل في مخدعها لؤلؤٌ جميل في منظره.

زهرة السلام هي تحفة أثرية تبتهج برؤياها الأنفس وزجاجة عِطرية تنتشي شغفا ًبها القلوب.

زهرة السلام هي إشراقة نجاحاتٍ واثقةٍ بعد مسلسلٍ محزنٍ من الفشل المظلم.

زهرة السلام أهديها باقة لوالدتي الغالية حيث أمومتها الصادقة وحضنها الدافئ وقلبها الصافي.

زهرة السلام أعلِّقها إكليلاً في عنق والدي العزيز الذي عاش لحظات عمره لأمي ولي ولأخوتي أكثر مما عاش لنفسه.

زهرة السلام أزرعها شجرة مزهرة يخرج عنها من الثمر أطيبه على قبر أختي – تقبلها الله في عباده الصالحين- ليأكل البشر والطير وكل ما فيه حياة ويدب على الأرض، فيكون لها في كل ثمرةٍ صدقة وفي كل صدقةٍ حسنة.

زهرة السلام أهديها لنفسي فأحفظها ذكرى طيبة، وأعيشها في نومي حلماً جميلاً، وأرقبها في مستقبلي كما أرقب أجمل نجمات السماء لعلوٍّ في مقام جلوسها، وأخلِّدها في قاموس الخلود وعداً صادقاً بحفظ الودِّ وإن أخلف الآخرون وعدهم.

يقول علي محمود طه في قصيدة "ميلاد زهرة"

يـــا شـــعراء الـــرّوض أيـــن البيـــان؟	أيـــن أغاريـــد الهـــوى و الحنـــان؟

قــد ولــدت فـــي روضــكم	زهــرة	يــا حســنها بــين الزّهــور الحســان!
حلــم الفراشـــات، و حـــبّ	النّـــدى	و خمــــرة النّحـــل و ســـحر الأوان
و النّــور ســرّ فـــي ضـــمير	الــدّجى	و الفجـــر طيـــف لـــم يـــبن للعيـــان
قومــوا انظــروا الظــلّ علــى	مهــدها	يـــرقص فيــــه قمـــر الإضــــحيان
يـــا شـــعراء الــرّوض كـــم	زهــرة	ميلادهــــا مــــن حســــنات الزّمــــان

* * * *

هكذا هم، الآباء والأمهات

تختلط ضحكاتهم بضحكاتنا وابتسامات شفاههم تتأرجح بين عيوننا لتطبع قبلة رضا على محيَّانا، نراهم في نومنا ينيرون معالم الطريق وفي عمق أحلامنا يرفعون الأذى بعيداً عن خُطى سيرنا، أمَّا في يقظتنا فهم يعلنون الحرب على من سوَّغت له نفسه التعدّي على حقٍ من حقوقنا أو حتى مسَّ طرف ثوبنا، فيعلو بنياننا بأيديهم قبل أيدينا، وتتجلى نفوسهم مبدعة في التضحية والفداء، وتمضي الأيام فنكبر في العمر ويكبرون في القدر ويعتلي رؤسهم من الألوان أنقاها فيعلوها البياض وبعد القوة والشباب تنحني أجسادهم عن ضعف، ونحن إذ نكبر فتنقلب حالنا من ضعف إلى قوة وتمتلئ أجسادنا بالفتوة، فينسى بعضنا أو يتناسى فضلاً لا يماثله فضل إذ كانت التضحية عنوان حياتهم في رعايتنا وحمايتنا.

فإذا عقدنا العزم على الرحيل أو البعاد أو سعينا لنكون آباءً وأمهاتٍ في استقلال كاملٍ لحياتنا علينا ألّا ننسى اختلاط الضحكات وردَّ الابتسامات، وعلينا أن نسعى لنردَّ بعضاً من الدعوات الصادقة وجزءاً من القبلات الحانية التي ملأت أجسادنا الغضة عندما كنا أطفالاً.

"فالزهور وإن جفت وضاع عبيرها ولم يبقَ منها غير الأشواك، علينا ألّا ننسَ أنها في يوم من الأيام منحتنا عطراً جميلاً أعجبنا"

يقول الأخطل الصغير(بشارة الخوري):

أغـــرى امـــرؤٌ يومـــاً غلامــاً جــاهلاً

بـنـقــودهِ حــتى ينــال بـــه الـوطـــر

قـــال ائتـــني بـفــؤادِ أمــكَ يــا فتــى

ولـك الــجواهـــرُ والـدراهـــمُ والـــدرر

فمضــى وأغـرز خنجـراً فــي صـدرها

والـــقلب أخـــرجه وعـــاد علــى الأثــر

لكنــه مــن فـــرْطِ سرعـــته هـــوى

فتـــدحرج القـــلب المعـــفر إذ عـــثر

نـــاداه قـــلب الأم وهـــو معـفـــر

ولـدي حبيبـي هـل أصـابك مـــن ضـرر؟

فـــكان هـــذا الـــصوت رغـم حنـوه

غضـب السـماء علـى الوليـد قـد انهمـر

وارتــد نحــو القـــلب يغـــسله بـــما

فاضـت بـه عينـــاه مـــن سيــل الـعبــر

ويقــول يــا قلــبُ انـتقـــم مـــني ولا

تغـفـــر فـــإن جـريمتـــي لا تُغـــتـــفر

واســتل خنـــجره ليطـــعن صــــدره

حَنَقـاً ويبـــقى عـــبرة لـمـــن اعـتبـــر

نــاداه قـــلب الأم قـــف ولـــــدي ولا

تــطـــعن فـــؤادي مـــرتين علــى الأثــر

* * * *

عاطفة

ليس للعاطفة أن تُحبس فينفجر عنها بركانٌ قد لا يخمد على خير، وليس لها أن تُقتل فيقتل معها صفاء النية، وليس لها أن تُغتصب من أصحابها فتفقد عذريتها فيسلك أصحابها سلوك التائهين أو العابثين بعد أن تنقلب عن وجهها إلى كره ورغبة بالانتقام.

للعاطفة أن تحيا في النفوس حياة كرامة، أن ترى الشمس في كل إطلالة من غير تقتير ولا إسراف فتنمو تحت النور.

للعاطفة حقٌ شرعيٌّ بأن ترى القمر فيكون صديقاً ومؤنساً، وأن تعيش مع أصحابها فتشاركهم من أيامهم الفرح كما الحزن ولها أن تستضيف من أحلامهم ما يمكّنها من أن تنقلب حقيقة بعد الخيال.

ولكن!

ليس للعاطفة أن توضع موضعاً تتخذ فيه القرار ولا أن ترسم معالم الطريق. ليس لها أن تدير دفة القيادة في الحياة فلا قدرة لها ولا فرصة على بلوغ الهدف في الرحلة، وليس لها أن تحمل الراية أو تعلن الولاء، فإن لم تتناجَ وخطاب العقل ستسقط الراية ويتيه الولاء الصحيح عن موضعه ولن يكون الإتيان بفروض الطاعة بالشكل السليم وبذلك لن ترفع راية حق.

"إنَّ هذا الكون يقوم على حقيقة وهي حقيقة وجود الله، ولن يستطيع الإنسان أن يصل إلى هذه الحقيقة إلَّا إذا أحب"

جورجيو ناناك

* * * *

وداع من القلب

إلى من عايشته وعاملته فملأ حياتي بالأمل، وأنار دربي بغرس الإيمان في قلبي، إلى كل رفيق درب وزميل عمل طاب حديثه وعذب لسانه فوجهني وأرشدني وشاءت الأقدار أن يأتي الفراق ويكون الوداع، أكِنُّ لكم في قلبي كل طيب وصادق من المشاعر أبثها في كلمات متواضعة بسيطة أبت إلَّا أن تخرج فتودعكم وتصافح قلوبكم كما تصافحت أيدينا في كل الأيام التي مضت.

فإلى الأيادي البيضاء التي زرعت الورود في أرضٍ كثرت أشواكها، وزرعت الأشجار مثمرةً في عالم بكت فيه كل العيون إلّا عين السماء توقفت فيه عن البكاء فيبس زرعنا، إلى النفوس الندية صادقة الوعد والعهد التي أبت إلّا أن تزرع فتتخير أطايب الثمر، ترويها بدموع عيونها، فإن جفت الدموع أكملت السقاية من ماءٍ اكتنزته أجسادهم، وأبت إلّا أن تصنع فتبدع الصنع، فلامست قلوبهم في قلبي حباً وعانقت أجسادهم في جسدي انتفاضة عاشق لم يُتقن من العشق إلّا خوف الفراق ليكون حالي كمن:

تضـيق عليــه الأرض خــوف فــراقكمُ
وأي مكـــــان لا يضـــــيق بخـــــائفِ
ومـــا أســفي إلا علـــى البعــد عــنكمُ
ولســـت علـــى شـــيءٍ ســـواه بآســـفِ

بحثت في كتبي و فيما قرأت، فلم أجد في حال الأم التي ترنو لطفلها مودعةً إيّاه بثغرها الباسم وصفاً لحال وداعي لكم ذلك أنني لم أتقن يوماً الابتسامة في كامل إشراقها لأستودعكم إيّاها، بحثت في دفاتري وفيما كتبت فتبعثرت الحروف في أوراقي ونفدت مني الكلمات وإن كان البحر مداداً لها، واختلجت في نفسي العبرات حُبست في سجن يحرسه عبق الذكريات، ليشرق يومي هذا على آذان المؤذن أن "حيَّ على الفلاح"، ولأنَّ مثلي ليس له إلّا أن يُلبِّي بأن "بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا"، وجب الرحيل.

فشكراً لكم ، الشكر كله،

شكراً لكم والشكر من أعماق قلبي،

وعذراً، حيث في العذر رجاءٌ ودعاء.

رجاءٌ بطلب الصفح والعفو عن خطأ قد ارتكبته، أو تقصير لم أُحط به.

ودعاءٌ إلى الله بأن يحسن طالعكم، ويزيل همكم، ويبارك في رزقكم.

وأمل...أملٌ في غدٍ نلتقي فيه، حيث المجتهد فينا يعتلي عرشه.

والسلام... السلام ممن لم يبقَ في قلبه لكم إلّا السلام.

*** * * ***

الحياة

الحياة هي تجربة فريدة لا تتكرر لأي منّا، أهمُّ عناصر النجاح فيها الإيمان والعقل والعمل،

الحياة هي كائن يكبر كما نكبر ويحتاج منا أن نتبادل وإياه الخبرة والمعرفة،

الحياة في مجملها رحلة نجهل موعد نهايتها غير أن نهايتها حتمية،

الحياة مسرح يتوجب علينا أن نتقن أدوارنا على خشبته، فنكسب الأجر حال انتهاء هذه الأدوار.

الحياة مخلوق متلون يتقلَّب بين الفرح والحزن، الصحة والمرض، فيعادينا ويزعجنا حال سوء حاله ويصاحبنا ويسعدنا حيث حاله جيدة.

قال المتنبي:

إنّـــي لأعْلَـــمُ، واللّبيـــبُ خَبِيـــرُ،		أنْ الحَيـــاةَ وَإنْ حَرَصْـــتُ غـــرُورُ
ورَأيْـــتُ كُـــلاّ مـــا يُعَلّـــلُ نَفسَـــهُ		بتَعِلّـــةٍ وإلـــى الفنَـــاءِ يَصِـــيرُ
أمُجـــاوِرَ الـــدَّيْمَاسِ رَهْـــنَ قـــرَارَةٍ		فيهـــا الضّـــياءُ بوَجْهِـــهِ والنّـــورُ
مـــا كنـــتُ أحســـبُ قبـــل دفنـــكَ فـــي الثـــرَى		أنّ الكَواكِـــبَ فـــي التّـــرابِ تَغَـــورُ
مـــا كنـــتُ آمُـــلُ قبـــلَ نَعشِـــكَ أن أرَى		رَضْـــوَى علـــى أيـــدي الرّجـــالِ تَســـيرُ

اللهم إني أستغفرك

لكل ذنب

خطوت إليه برجلي

أو مددت إليه يدي

أو تأملته ببصري

أو أصغيت إليه بأذني

و نطق به لساني

أو أتلفت فيه ما رزقتني

ثم استرزقتك

على عصياني

فرزقتني

ثم استعنت

برزقك

على عصيانك

فسترته علي

وسألتك الزيادة

فلم تحرمني

ولا تزال عائداً علي بحلمك

وإحسانك

يا أكرم الأكرمين

اللهم إني أستغفرك

من كل سيئة

ارتكبتها في بياض

النهار وسواد الليل

في ملأ وخلاء

وسر وعلانية

وأنت ناظر إلي،

اللهم إني أستغفرك من كل فريضة

أوجبتها علي في آناء الليل والنهار

تركتها خطأً أو عمداً

أو نسياناً أو جهلاً

وأستغفرك من كل سنة من سنن

سيد المرسلين وخاتم النبيين

سيدنا محمد صلى الله وأله وسلم

تركتها غفلةً أو سهواً

أو نسياناً أو تهاوناً أو جهلاً

أو قلة مبالاةٍ بها

أستغفر الله .. وأتوب إلى الله

مما يكره الله

قولاً وفعلاً .. وباطناً وظاهراً

*** * * ***

الموت

الموت هو نهاية رحلة لا نريد أن تنتهي، وبداية رحلة لن تنتهي،

الموت وداعٌ أخير في حياتنا الدنيا ولقاء أبدي في الآخرة،

الموت هو صمت لصخب الحياة و صوت يعلن بداية الحساب،

الموت هو علاج للمرض، ورحمة بالأرض والإنسان،

الموت هو دموع وألم وحزن على الفراق نستعين عليه بالصبر،

الموت هو خوف نفرٌّ منه إلى وحش الغفلة فنحلم بالخلود،

الموت هو الحدُّ الفاصل بين العمل والحساب،

الموت هو حق مكتسب يتساوى فيه كل الخلق كما هي الحياة،

الموت هو نهاية مشرقة لمن حمل الأمانة التي فضَّل الله بها الإنسان عن غيره،

الموت هو نهاية مظلمة لمن كفر وأعرض وطغى.

قال الفضيل: "من علم أنه إلى الله راجع علم أنه بين يدي الله موقوف ومن علم أنه بين يدي الله موقوف علم أنه بين يدي الله مسؤول ومن علم أنه بين يدي الله مسؤول فليعدَّ لكل سؤال جواباً.

وجاء في كتاب صيد الخاطر لابن القيم

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى
و لم تر في الباقين مايصنع الدهر
فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم
محاها مجال الريح بعدك و المطر!

"رباه، لو بلغت ذنوبي عنان السماء، ما يئست من رحمتك".

* * * *

حق وواجب

أن يُعطى الصانع والعامل والأجير وكل صاحب حرفةٍ أو مهنةٍ أجره المادي وينال احترامه مقابل عمل قام به أو خدمةٍ أدَّاها حقٌ له، وأن يُحسن ويُتقن و يُبدع في صنعته أو حرفته واجبٌ عليه.

أن يُطاع الزوج في بيته وخارجه حقٌ له مالم يكن في ذلك معصيةٌ للخالق، وأن يؤدِّي لأهله وزوجه حقوقهم ويقوم على مصالحهم ورعايتهم واجبٌ عليه.

أن ننام من الليل قدراً كافياً فترتاح عقولنا وأجسادنا حقٌ لنا، وأن نجتهد في أعمالنا نهاراً واجبٌ علينا.

أن ندعو الله فنطلب الشفاء أو النجاح أوالتوفيق منه حقٌ لنا وأن نأخذ بأسباب ذلك واجبٌ علينا.

أن نتغنى بأمجاد الماضي حقٌّ لنا وأن يتغنى الحاضر والمستقبل بأعمالنا واجبٌ علينا.

أن نأخذ من الآخرين ما هو لنا عندهم حقٌّ لنا وأن نعطيهم مالهم لدينا واجب علينا.

"من أحب تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال".

لغة التفاهم

للتفاهم بين البشر وسائل ولغات عدة، فالنقاش العقلاني يتمثل في الحوارالهادئ بين من كان هدفهم تعلُّم علم أو حلَّ مشكلة، والجدال البيزنطي- حيث ترتفع الأصوات وتحتدُّ النبرات- ليس من هدف فيه إلَّا إظهار للذات وإبراز للنزوات والنرعات، وفي حالات أخرى للتفاهم ليس هناك من لغة إلّا لغة السلاح إذ يستخدم دفاعاً عن عقيدة دمها مسفوك أو حق مسلوب أو أرض مغتصبة، وللتفاهم مع المحزونين نعتمد لغة المواساة ومع المظلومين نستمسك بلغة النصرة بكل ما فينا من طاقة، وللتفاهم مع المحبين والعاشقين نستعير اقتباساً من القلوب المليئة بالصدق، وللتفاهم مع الصادقين نكتفي بلغة الوفاء بالوعود، وللتفاهم مع أولي القربى نتمثَّل لغة صلة الرحم، وللتفاهم مع الأطفال فلغة اللطف في التوجيه والرحمة في التأنيب ومع الكبار فلغة الاحترام والتقدير، ولغة التفاهم مع الرجال هي كلمات الحرية.

* * * *

وجبة دسمة

كنت قد تناولت في الأيام الماضية مجبراً وجبات دسمة من عبارات المدح والثناء، إذ إنني حققت نجاحاً في جزئية في حياتي تلك الفترة، في بادئ الأمر لم يكن هذا المدح محط اهتمامي، فكل تركيزي كان منصبَّاً على العمل الجاد والتقدم للأمام والتميز بالأداء ولكن ولأن النفوس توّاقة لسماع المديح ولإصرار من يحيطون بي بتكرار تلك العبارات والاستمرار في تلوينها وتزيينها بدأ انغماسي في تذوق ما لذ وطاب منها، واستمر ذلك التذوق ليعدو حالة الاكتفاء فأصاب ذلك في نفسي لحن الغرور فتغيرت إيقاعات النجاح وتحطمت معزوفة الإبداع على صخور التخمة فلم يعد للعقل قدرة على التفكير والتأمل ولا للجسد قدرة على العمل فأصبح عنواني التباهي وغلبتني الأنا وعشت على أمجاد الماضي وتشتتت أفكار الحاضر فضاعت عني أمجاد كنت قد عقدت العزم أن أقطف ثمارها في المستقبل.

فيا أهلي وأخوتي وأصحابي، ويا من يهتمون لأمري فليكن منكم المعين والناصح ولا ضَير ببعض المديح وبعض التصفيق للتميز والإنجاز المحقق دون أن يصل حدود المغالاة فينقلب بذلك إلى سبب للتشتيت والإلهاء والضياع.

واقبلوا مني كامل الاحترام

* * * *

ضحايا

الفاشل في حياته هو ضحية خوفه،

والمهمل في عمله هو ضحية تقصيره،

أمَّا المنبوذ من الناس فهو ضحية أنانيته،

والمتردد في رأيه هو ضحية جهله،

والجاهل بالأمر هو ضحية استعلائه عن السؤال،

والمزهو بنفسه هو ضحية غروره،

وحتى نقي أنفسنا ما هو دون التميِّز ونكون أولئك الناجحين فلنسعَ بالإقدام الشجاع المدروس والمبادرة الواعية، ولنشقَّ الطريق بأعمالنا من غير تقصير أو إهمال، ونكسب قلوب الآخرين بالبذل والعطاء، ونكون أصحاب الرأي السديد في قراراتنا ونبراساً لغيرنا بالتعلم والسؤال فنصبح منارات للعلم وقادة للتغيير حيث التغيير عنوان للتصحيح والتطوير.

"فلا تدع شيئا يدفعك لأن تترك حياتك خلفك وتمضي، فإن نسيت العدد الذي وصلت اليه من أمواج البحر فلا تضيع القادم منها"

يقول الكتور عبدالرحمن عشماوي

ما قيمة الناس إلا في مبادئهم		لا المال يبقى ولا الألقاب والرتب

* * * *

لطيفة

لطيفة هي كلمات النصح إن كانت صادقة واثقة ومقنعة فتخرج من أعماقنا لتلامس من قلوب الآخرين الصميم، فتتجلَّى في سلوكهم القويم بعد النصح.

ولطيفة هي كلمات الثناء إن كانت في محلِّها موجهة لأهلها، فتشحذ الهمة وتشعل النور في عتمة الطريق.

ولطيفة هي العبارات التي تمتدح من غير إسراف كل من فيه تألق وتميز، فيزداد المتألق تميزاً وإبداعاً.

ولطيفة هي همسات الدعاء في السحر نناجي بها الله راجين إياه الفضل والخير لنا ولعباده.

ولطيفة هي كلمات الوعد إن كان الوفاء هدفاً والعمل وسيلة وإرضاء الله غاية.

ولطيفة هي كلمات الأمل نمسح فيها دموع التائهين والخائفين والمترددين إن كانت بالله معلقة أساسها التوكل المعقود بالعمل والأخذ بالأسباب.

* * * *

أن تشعل شمعة خير من أن تلعن الظلام

أن تبتسم في وجه فقير محتاج خير من أن تمرَّ بجانبه وأنت غضبان لحاله، فالابتسامة في وجهه تعطيه الأمل.

وأن تضع في جيبه نقوداً خير من أن تكتفي بالابتسام في وجهه فذلك يمكِّنه من قضاء حاجاته وحاجات من يعيل.

وأن تعلِّمه صنعة أو حِرفة يعمل بها خير من أن تضع في جيبه نقوداً فذلك يمكنه من النظر لنفسه في المرآة بعينٍ من الرضا والاحترام.

أن تعلن احترامك وولاءك للقانون بلسانك خير من أن تخالفه.

وأن تنفِّذ القانون بسلوكك خير من اعتراف لسانك.

وأن تمارس حقوقك وتشارك في إرساء قواعد القانون خير من أن تنتظر وتكتفي بالتنفيذ.

أن تتخذ قراراتك خير من أن تسلِّم زمام أمرك للآخرين.

وأن تتخير في اتخاذ قراراتك حُسن المشورة والاستخارة خير من أن تعتدَّ برأيك.

وأن تُقيِّم أداءك بعد كل قرار تتخذه خير لك من أن تُلدغ من جحر مرتين.

"إننا نحيا لأنفسنا حياة مضاعفة عندما نحيا للآخرين، وبقدر مانضاعف إحساسنا بالآخرين نضاعف إحساسنا بالحياة"

* * * *

أميرتي

أميرتي هي زوجة ملكت علي الدنيا ووجدتُ في عشقها فجراً مشرقاً تستيقظ فيه كل المشاعر الدافئة، وليس في ذلك العشق من عيب، فللرجال الرجال أن تمتلئ قلوبهم بشيءٌ من العشق، ولبعض النساء أن يكنَّ مقصداً لكل العشق.

وملكتي هي حاكمة سلَّمتها مفاتيح قلبي لتقيمٍ في هانئ العيش إقامة لا يشوبها من الأحاسيس إلّا الرضا، ولا يعتليها من الرغبات إلّا الرغبة ببناء مملكتنا.

وسيدتي هي رفيقة الدرب حيث السيادة كما نفهمها في بيتنا هي فن التواضع والانشغال بصالح الآخرين وخدمتهم، فنالت بالامتثال لوجوب التكليف حق التشريف.

وآسرة فؤادي هي سجَّانةٌ سجنها أحبُّ إلي مما قد يدعوني أحدٌ إليه من زيفٍ أو وهم، فبعد أن أصبحنا زوجين وبعيداً عن قصص الماضي وهي في عيني أجمل نساء الكون، وأكثرهنَّ أدباً وحياءً، وأعذبهنَّ حديثاً وأنقاهنَّ نفساً وأجملهنَّ سجناً.

وكما كانت ولا زالت فأنا كذلك أميرٌ وملكٌ وسيدٌ وسجَّان، إذ نسلك سلوك الأمراء فنترفَّع عن سفاسف الأمور ونجلس جلوس الملوك إذ يعتلون عروشهم ويتحاورون حوار السادة وأصحاب النبل، ونمتلك نحن الاثنين- هي وأنا - من حقوق السجن ما يفضح جرائمنا في الحب والعشق.

جاء في كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي:

" "فمن قدر على امرأة صالحة في الصورة و المعنى فليغمض عن عوراتها ، و لتجتهد هي في مراضيته من غير قرب يمل ، و لا بُعد ينسى".

قال عبد القادر الجزائري واصفاً زوجته:

ومــن عجــب تهــاب الأســد بطشــي
ويمنعنـــــي غــــزال عــــن مــــرادي

* * * *

رسالة خاصة

ليس من أولويات حياتي أن أُشيد قصوراً من الاعتذارات، أو أن أبحث عن قِفارٍ أفرُّ إليها لأنني لا أجيد في الاعتذار حتى الاعتراف بالخطأ، أو أن أبحث عن قناعٍ متقلِّب أخفي به بعضاً من حقيقتي.

وليس من أولويات وجودي وتعايشي مع الآخرين أن أشرِّع لذاتي حقاً في الإساءة لغيري بما لا أقبله لنفسي وأعلِّل ذلك بعلوِّ منزلتي و حاجة البعض لي.

وليس من أولويات اهتماماتي أن أحلِّق في سماءآت النشوة وأن أبعثر وقتي وجهدي في محاولات تحسس خيالات وهمية، وأن أُرقِّع معطف تمنياتي البالي بطول العمر وانتظار الفرصة.

وليس من أولويات فطرتي أن أُساوم على فضِّ بكارة كرامتي، ومن ثمَّ أخطط لنسج معطفٍ أبيضَ في محاولةٍ لإعادة العذرية المفقودة، أو أخيط فستاناً أحمرَ للتأكيد على استمتاعنا بالممارسة الأولى أو أن أسعى لتجهيز عباءة سوداء لتقبل العزاء بضحيتنا الجديدة.

وليس من أولويات عبقريتي أن أضحي لمن لا يستحق، أو أن أُضع أمانة تعنيني في عنق من هو ليس للأمانات بأمين.

يقول الشاعر ناصر الفراعنة في قصيدته ملوك الجن

أولــــم تكـــن تـــدري نـــوار بأنّنــــي
أعْطـــــي إذا ربُّ المـــــلا أعطانيَـــــهْ
أولــــم تكـــن تـــدري نـــوار بأنّنــــي
أســـقي كـــؤوس المُـــرِّ مـــن أسقانيَـــهْ
أولــم تكــن تــدري نــوار بأنّنـــي
أنِـــفٌ وعـــن مـــا لا يُعِـــزّ حشانيَـــهْ
ليـــثَ إذا عـــضّ الزمـــانُ بنابِـــهِ
غيـــــثَ إذا هبّـــــتْ علـــــيّ يمانِيَـــــة
أدنـــــو لكــــلّ مجــــندٍ بمهـــــندٍ
وتعارَفـــتْ قضُـــبُ الســـيوف بنانيَـــهْ

نـــــزّال أودِيَـــــةٍ تعُـــجُّ سِـــباعُها
لا أرتضـــي فـــي النائبـــاتِ هوانيَـــه
* * * *

أين نحن من هذه الحقائق

إنَّ من بعض أسباب الضحك المؤلم والبكاء الطويل - في نفس الوقت- هو أن نكون نحن هذا العالم الإسلامي الكبير غثاءً كغثاء السيل دون أن يكون لنا صوتٌ يسمع أو فعلٌ يذكر على الصعيد العالمي، وليس ذلك غريباً فقد أهملنا عقيدتنا وأنكرنا أول ما أمر به الله على لسان وحيه في رسالته التي وجهها لنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تعالى في سورة العلق: (إقرأ باسم ربك الذي خلق)، وإن ما يلي من حقائق لهو شاهد على بعدنا عما أمرنا به الله فيما يخصُّ العلم ونشره والعمل به.

"ففي آخر ١٠٥ عاماً، فاز ١٤ مليون يهودي بـ ١٨٠ جائزة نوبل. وفي الفترة ذاتها فاز مليار ونصف مسلم بثلاث جوائز نوبل، أي بمعدل جائزة نوبل لكل 77778 (أقل من ثمانين ألف) يهودي. وجائزة نوبل لكل ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ (خمسمئة مليون) مسلم، فلو كان لليهود نفس معدل المسلمين لحصلوا خلال الـ١٠٥ سنة الماضية على ٠.٠٢٨ جائزة نوبل. أي أقل من ثلث جائزة، ولو كان للمسلمين نفس معدل اليهود لحصلوا خلال الـ١٠٥ سنة الماضية على ١٩٢٨٦ جائزة نوبل.

في العالم الإسلامي كله، هناك ٥٠٠ جامعة.

في الولايات المتحدة الأمريكية هناك ٥٧٥٨ جامعة!

في الهند هناك ٨٤٠٧ جامعة!

لاتوجد جامعة إسلامية واحدة في قائمة أفضل ٥٠٠ جامعة في العالم.

هناك ٦ جامعات إسرائيلية في قائمة أفضل ٥٠٠ جامعة في العالم.

نسبة التعلم في الدول الغربية ٩٠%.

نسبة التعلم في العالم الإسلامي ٤٠%.

عدد الدول الغربية بنسبة تعليم ١٠٠% هو ١٥ دولة.

لا توجد أي دولة مسلمة وصلت فيها نسبة التعليم إلى ١٠٠%.

نسبة إتمام المرحلة الابتدائية في الدول الغربية ٩٨%.

نسبة إتمام المرحلة الابتدائية في الدول الإسلامية ٥٠%.

نسبة دخول الجامعات في الدول الغربية ٤٠%.

نسبة دخول الجامعات في الدول الإسلامية ٢%.

هناك ٢٣٠ عالماً مسلماً بين كل مليون مسلم.

هناك ٥٠٠٠ عالماً أمريكياً بين كل مليون أمريكي.

في الدول الغربية هناك ١٠٠٠ تقني في كل مليون.

في الدول الإسلامية هناك ٥٠ تقنياً لكل مليون.

تصرف الدول الإسلامية ما يعادل ٠.٢% من مجموع دخلها القومي على الأبحاث والتطوير.

تصرف الدول الغربية ما يعادل ٥% من مجموع دخلها القومي على الأبحاث والتطوير.

معدل توزيع الصحف اليومية في باكستان هو ٢٣ صحيفة لكل ١٠٠٠ مواطن.

معدل توزيع الصحف اليومية في سنغافورة هو ٤٦٠ صحيفة لكل ١٠٠٠ مواطن.

في المملكة المتحدة يتم توزيع ٢٠٠٠ كتاب لكل مليون مواطن.

في مصر يتم إصدار ١٧ كتابا لكل مليون مواطن.

المعدات ذات التقنية العالية تشكل ٠.٩% من صادرات باكستان و٠.٢% من صادرات المملكة العربية السعودية و٠.٣% من صادرات كل من الكويت والجزائر والمغرب.

المعدات ذات التقنية العالية تشكل ٦٨% من صادرات سنغافورة.

* * * *

دونكيشوت عذراً! ولكن، هل لك أن تترجل؟

تعب حصانك فلم يعد لديه قدرة أو حتى رغبة في المسير، ورفيق دربك سانشو - الفلاح البسيط- قد ملَّ حياة الترحال والبطولات المزعومة، فمسيرتك سيدي على غير هدى، ولتعلم أيها النبيل أنك أصبحت مضرب المثل لكل مراهق حالم ابتدع من واقعه عوالم وهمية جعل نفسه بطلاً فيها، حيث استمدَّ عوالمه هذه من كل مُشَاهد ومسموع من حكايات درامية أو سيناريوهات إذاعية، فأحدثت هذه العوالم فجوة في فهم الذات والقدرات سرقت الحالم من واقعه فتراجع إدراكه وضعف أداؤه وانحسرت اهتماماته في خيالات لا تعزز في النفس إلّا إغماض العين وإكمال الحلم.

عزيزي دونكيشوت! احترمت فيك رغبتك في إصلاح الكون ومدِّ يد العون لكل محتاجٍ، ولكن، هل لك سيدي أن تبحث عن مواطن الإصلاح التي لك طاقة بها؟ ولاتكلّف نفسك لا أكثر من ذلك ولا أقل، ولك مني كل احترام.

* * * *

خط الدفاع الأول

غالباً ما تكون ردود أفعالنا هي خط دفاعنا الأول تجاه أي خطر يحدق بنا أياً كان نوعه أو حجمه، فتنتفض على سبيل المثال أصابعنا بكامل غضبها معلنة عن ارتفاع حرارة ماءٍ ساخنٍ قبل أن يدرك عقلنا ذلك، وقد تسبقنا أقدامنا في هربها من صوتٍ ما أو ضوءٍ غريب قبل أن يناقش عقلنا سرعة أو اتجاه الهرب.

إن في تناغم عمل حواسّنا وردود أفعالنا إنقاذاً لأجسادنا وحماية لأنفسنا مما قد يحيط بنا من أخطار طبيعية محدودة، وفي ذلك مِنَّةٌ من الله سبحانه وتعالى منَّ بها علينا.

ولكن الحياة في أصلها لا تقوم على أساس ردِّ الفعل، حيث وُضِع العقل في الجسد موضع الملك للشعب فهو الآمر الناهي ويتوجب على سائر أعضاء الجسد الطاعة، وتمتاز تصرفاتنا العقلانية عن ردود أفعالنا - وإن كانت الثانية أكثر براءة إذ إنها تعكس بعضاً من جوهرنا- بقدرتها على الربط العلمي والموضوعي لما يحيط بنا من قضايا وأحداث ما يمكنّنا من التصرف والإتيان بالسلوك الواعي والذي يحول دون الوقوع بالأخطاء التي لا تحمد عواقبها، فدموع التماسيح لا تعني أن نصطاد طيوراً ونطعمها لها فهذه الدموع ليست إلّا إفرازات دمعية بعد وجبة دسمة.

داحس والغبراء

دأبت بعض النفوس التواقة لوهم الغرور والمتعطشة لزيف العظمة -منذ الأزل وعلى مرِّ العصور- على دقِّ طبول الحرب وإشعال نار الفتنة والظلم وإشاعة مواطن الخديعة وأبواب السلب والنهب والقتل، واعتلت هذه النفوس عروشاً من الجماجم وأدمنت على احتساءِ الدماء، وسوغت لذلك من الأسباب ما هو مدعاة لعجب أصحاب العقول فعنونت حروبها بعناوين العدالة وإرساء قواعد الأمن والأمان العالمي، وشرَّعت قوانين صماء بكماء لا تحاكي إلَّا أطماعهم ونزواتهم الشخصية، ولذَّاتهم السادية، ولكن! دائماً كان هناك نهاية للدمار وبداية للإعمار، ونهاية للشر واستمرارٌ للخير، وعلوٌ دائمٌ للحق على الباطل، وهذا النصر هو إعلان عن جيش وإن لم يحمل السلاح أحياناً إلَّا أنَّ نفوس جنوده تواقة لكرامة الإنسان داعية للتضحية والإيثار دون أن تسلب من الشعوب إرادتها أو أن تحرمهم خيرات بلادهم، سبيلهم في ذلك الحكمة والموعظة الحسنة.

* * * *

حالة عربية طارئة

انطلقت سيارة الإسعاف في زحمة السير، بصوتها المألوف وأضوائها المعهودة معلنة عن نقلها لحالة طارئة -أصيبت أثناء دفاعها عن نفسها في عراك اعتدى عليها فيه مسلح- لأقرب مستشفى حكومي.

أُستقبلت سيارة الإسعاف من قبل كادر كبير من الأطباء الأخصائيين، والممرضين المخضرمين وكان ذلك على أعين الملأ حيث حضر الإعلام وصور المشهد.

أُدخلت الحالة إلى قسم الطوارئ على سرير الفحص -بعد أن غادرت كاميرات التصوير- من قبل عمال التنظيف!

سُجلت الحالة في قائمة الانتظار، يسبقها عشرات الحالات التي تعاني من صداع خفيف، ومثل عددها حالات تعاني من زكام، وأخرى من ألم بسيط في الأذن وأخرى في العين.

في هذه اللحظات دخل مجموعة أطباء بزي المستشفيات الخاصة بكامل أدواتهم يرافقون حالة أخرى يظهر من صراخها جبن وخوف من أن تصاب سبابتها بشكة دبوس، اتضح من التدقيق في ملامح وجهها أنها المعتدي في ذات العراك لحالتنا

الطارئة.

أخذت الحالة الجديدة دوراً مُستعجلاً وأُفسح المجال لها.

وبعد فترة طويلة من الفحص والعلاج للحالة صُرف لها كم كبير من الأدوية وطُلِب لها فترة علاج نفسي للضرر النفسي الذي لحقها نَتيجة العراك، وأعدَّت تقارير كثيرة تبالغ في وصف الإصابة للمعتدي.

بعد بضعة أيام وصل الدور لحالتنا الطارئة،وكانت قد نزفت كثيراً، ولكنها لا تزال على قيد الحياة.

بالاكتفاء بالنظر إلى الوضع العام لحالتنا الطارئة من قبل أحد أطباء الطوارئ، ودون أي سؤالٍ عن التاريخ المرضي لها، وصف الطبيب المقيم مضادات حيوية، دون الحاجة لاستراحة،

هكذا هو الحال في مجلس الأمن، وهكذا تُعَالج حالتنا العربية الطارئة في طوارئ وغرف عمليات هذا المجلس.

قال الدكتور عبد الرحمن عشماوي:

أمـــي تســـائلني تبكـــي مـــن الغضـــب

مــــا بــــال أمتنــــا مقطوعـــة الســـببِ؟

مـــا بـــال أمتنـــا فلَـــتْ ضـــفائرها

وعرّضــــت وجههـــا القمحـــيّ للَهـــبِ؟

مـــا بـــال أمتنـــا ألقـــت عباءتهـــا

وأصـــبحت لعبـــة مـــن أهـــون اللّعَـــبِ؟

مـــا بـــال أمتنـــا تجـــري بـــلا هـــدف

وترتمـــي فـــي يـــدي بـــاغ ومغتصـــبِ؟

مـــا بـــال أمتنـــا صـــارت معلّقـــة

علـــى مشـــانق أهـــل الغـــدر والكـــذبِ؟

مـــا بالَهـــا مزّقـــت أســـباب وحـــدتها

ولـــم تَـــراع حقـــوق الـــدين والنّسَـــبِ؟

* * * *

قصة أمَّة

شعرا بالبرد والجوع، فاستندا إلى جذع شجرة، عندها وكأن نوراً قد أحاط بهما وذراعين أزالت عنهما أثر التعب.

كان شيخاً ينتظر عودة ابنه الذي غادره دون أن يودعه قبل سنوات ولم يعد، شعر الشيخ أنهما وحيدان بلا مأوى فحملهما وعاد بهما لكوخ كان يسكنه، وعندما وصلوا سألهما: ما الذي دفع بكما لذلك المكان؟ أجاباه بطفولتهما وبراءتهما وحزنهما وعذوبة صوتيهما: كنا في بيتنا نأكل بعد عودة والدنا من الحقل، وإذا بالباب يفتح بعنف ويدخل رجل لم يطرح السلام وفي يده بندقية، تبعه ثانٍ ودخل ثالث ثم جاء آخر حسبناهم أصدقاء، ولكن أبي نهض وقال: لماذا أتيتم؟ وإذا بصوت مدوٍ ووالدنا ممدد، حقيقة لم نعرف ما الذي جرى غير أنَّ الصوت قد عاد لنرى أمنا قدً عانقت حصير البيت الذي انقلب لونه للأحمر القاني، ضحكاتهم ملأت المكان، صوتٌ منهم قال: لن نقتلكما سنجعل قساوة الحياة في هذا المكان تفعل ذلك، لم ينهيا القصة وإذا بالدموع تنهمر من عيون ذلك الشيخ، مسحت يد الطفلة تلك الدموع وقالت: لا تحزن يا جدي ولا تبكِ، فأبي علمني أنَّ الحق لا يعود بالدموع فكتبت ذلك في صدري بأحرف من نور تضيء الطريق لغاية لا بدَّ منها، وبأحرف من نار تحرق كل من أراد إزالتها.

نام الطفلان، كانا منهكين، مضت الأيام، وجرت السنون، لكن لا عودة للابن.

كبر الطفلان، أصبح الطفل في ريعان القوة، أصبحت الطفلة فتاة سوية، وفي نفس الوقت مرض الشيخ إثر سمٍّ قد دسَّ له لينام على الفراش وتكون آخر كلماته لهما حان الوقت وتصعد روحه إلى السماء، علقت الكلمة بأذهانهما، وفهما أنَّ الوقت قد عاد لعودة الحق لأصحابه فقاما للعمل ولم يجلسا.

فكان هذا الشاب هو الذي سجن واعتقل واتهم.

كان هذا الشاب هو الذي جاهد.

كان هذا الشاب هو الذي نقل إلى زوجه في الجنة.

كان هذا الشاب هو الذي قال وعمل بمقولة شيخ الإسلام إبن تيمية"ماذا يفعل بي أعدائي، إن سجنوني، فسجني خلوة، وإن نفوني فسياحة، وإن أعدموني فشهادة في سبيل الله".

كان هذا الشاب هو الذي صدق الحق في حقه ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ

بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [سورة آل عمران].

وكانت هذه الفتاة هي التي طعنت جندي الاحتلال بخنجر مصطفوي.

كانت هذه الفتاة هي المجاهدة التي شقت نطاقها لتوصل الطعام والسلاح للمجاهدين.

كانت هذه الفتاة هي تلك الزوجة التي قدمت كوب ماء لزوجها الذي حاصرته كتائب الأعداء.

كانت هذه الفتاة هي تلك الأخت التي زُفَّ أخوها محمولاً على الأكتاف، فأنشدت بلسان الحال قائلة:

زفـوا الشـــهيد وخلــو الزفــة عالســـنة

زفـوا الشـــهيد لبيتـــه الثـــاني فـــي الجنـــة

زفـوا الشـــهيد بجرحـــه بدمـــه بثيابـــه

زفـــوا الشـــهيد وخلـــو الزفـــة عالســـنة

كانت هذه الفتاة هي تلك الأم التي ودَّعت أبناءها الخمسة بتلاوتها لكلام ربها ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ **[سورة الأحزاب].**

* * * *

أنا ابن لهذا البلد

أناْ ابن لهذا البلد وكل ما فيه يعنيني.

أمنه وأمانه واطمئنان أبنائه يعنيني.

يعنيني أن يستمرَّ الوفاق والاتفاق، الوئام والانسجام بين أبناء هذا البلد فتأمن النفوس وتطمئن.

يعنيني أن ينمو فينا حسٌّ تجاه الواجب فنؤديه، كلٌ حسب قدرته وموقعه، فقطعاً لن تعلو راية بلدنا بمن هم ليسوا من أهله، وأهله هم كل من شرب من مائه فارتوى وأكل من ثمره فاكتفى واستظل بشجره فاحتمى.

يعنيني أن يتناغم التشريع والتنفيذ والقضاء، فيعزف التشريع لحن قانون غاية القصد فيه أداء الحقوق وكف المظالم والنهوض بحال الشعب فتستوي موازين الحياة في أبسط مقوماتها الأساسية من مأكل ومشرب ومأمن، ويرقص التنفيذ كراقصٍ بارع على لحن هذه المعزوفة فيتجلى رقصه في جيش يدافع عن أرضٍ فيها المسجد والمسكن ولها الولاء والانتماء، وفي أمن يحمي شعباً من نفسه ومن غيره، ويستمع القضاء في كل لحظة على عادته لهذه المعزوفة المتناغمة في عذوبتها - ومن غير تثاقل- ليتأكد من تتابع حركاتها فيقوِّم المعوجَّ من الإيقاع والنغم الخارج عن اللحن مهما علت وتيرته واشتدت يد عازفه على الآلة النشاز، فإمَّا أن يلزمه بالعزف وفق الجماعة أو أن يخرج بعيداً ويعزف بعيداً كما يشاء فيحرم نفسه بذلك من بركة الجماعة، ويوجه القضاء بعين المرشد والناصح التنفيذ في خطوات رقصه ليزداد الأخير فوق براعته براعة.

*** * * ***

الخاتمة

إذا كان في بداية اللقاء حمدٌ لله على فضله أن سيرني لهذا الأمر، فأنا أختم أيضاً بحمده وشكره تعالى على إتمام فضله علي إذ يسر لي أن أتمَّه على هذا النحو إذ تستأذنكم أقلامي هنا لتتوقف عن الكتابة، وترافقها دفاتري إذ تستميحكم عذراً بأن تطلب الراحة الآن علَّها في المرَّة القادمة أن تتخذ من حسن الأداء منارة للعمل.

رجوت الله في كل كلمة من كلمات هذا الكتاب أن يصار إلى علم يُنتفع به أو فكر يستنير به العقل أو معرفة تسمو بها النفس، مدركاً لبعض ما قد يشوب هذا الأمر من خطأ غير مقصود أو سهو لم يُحط به، معللاً هذا أو ذاك بأسباب الخطأ البشري داعياً الله أن يجنبني إياه مسقبلاً وأن ييسر لي من فضله من ارتأى من عباده ليقوم مقام الناصح والدالِّ على الصواب، راجياً بعضاً من فضلكم في بيان الخطأ وتقديم النصح إذا أمكن ،إذ أنَّ لكلٍ منا تجربة أولى في كل شيء قد يعايشه، وهذه تجربتي الأولى أضعها بين أيديكم أرقب أناملكم تقلب صفحات هذا الكتاب و أنتظر النصح والتوجيه، مع الوعد بتكرار اللقاء حيث يتجدد الأمل فتعود الأقلام للكتابة من جديد من وحي العقل ومن صميم القلب لتلامس العقول والقلوب كما تلامس الأسماع والأبصار.

فإلى لقاء قريب بمشيئة الله حيث يتجدد فيه الحديث في

أريج الياسمين.

في أريج الياسمين حكايتنا مختلفة إذ شوهدت زهرة ياسمين رضيعة في صحراء سيناء تحتضنها عائلة من الخزامى في توافق جديد بين المنطق والشعور.

وتحطَّم كبرياؤه أو كبرياؤها المزعوم على أعتاب متاهات الرفض.

وضاع من جعبتي كلٌ أغراض اللعب وتغيرت خارطة الطريق.

وسمعت رجاءً غاضباً من أحدهم موجهاً إليّ بأن أشبع غرورك سيدي.

وتستمر الحكاية................

أنس نعيم

* * * *